قصص الأنبياء

ياسين الجمل

المركز العربي الحديث

١٠٣ شارع الإمام علي - ميدان الإسماعيلية - مصر الجديدة - القاهرة ت: ٢٧٠٦٠٤٨

آدم عليه السلام

خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش.

وقد خلق الحقُّ تعالى مخلوقات من النور، وهم الملائكة، يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وقد خلق مخلوقات من النار، وهم الجن، جعلهم بين السماء والأرض، منهم الصالح ومنهم الطالح.

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق آدم عليه السلام فقال مخاطباً الملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠] وقد أخبرهم بذلك على سبيل التنويه والإعلام.

قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وكان السؤال على وجه الاستعلام عن الحكمة لا على وجه الاعتراض.

وكان الملائكة بحسب طبيعتهم البريئة يعتقدون أن الغاية المطلقة من الوجود هى التسبيح والتحميد فردّ الله تعالى على الملائكة وقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠] وهو يريد سبحانه وتعالى أن يقول لهم إنى علام الغيوب وأنى الملمُّ بالحكمة من خلق آدم، وأن آدم غير كل المخلوقات الموجودة التى تسفك الدماء أو تفسد فى الأرض ولن يكون مثل الملائكة التى كل عملها هو التسبيح والتحميد.

إن آدم نوع جديد من المخلوقات.

وقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض،

فجاء بنو آدم على قدر الأرض: منهم الأبيض والأسود والأحمر، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك.

وقد أمر الله تعالى الملائكة بأنه سيخلق بشراً من طين فإذا فرغ من خلقه ونفخ فيه من روحه فيجب على جميع الملائكة أن يسجدوا له تكريماً لا عبادةً، حيث أن سجود العبادة لله وحده.

دبت الروح فى جسد آدم عليه السلام وشاهد أمامه منظر الملائكة وهم ساجدون، ولم يكن آدم يعلم شيئاً حتى اسمه هو.

وأثناء هذا المشهد العظيم كان هناك مخلوق لم يسجد لآدم عليه السلام كما أمر الله سبحانه وتعالى، فخاطبه الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وكان هذا المخلوق هو إبليس عليه اللعنة.

فرد إبليس بحقد وغباء: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

فقال الحق تعالى لإبليس: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥] فخرج إبليس ملعوناً مطروداً من رحمة الله.

وقد أدرك آدم منذ أول لحظة فى حياته أن إبليس عدو له.

وكان إبليس من الجن ففسق عن أمر ربه، وقد علم آدم عليه السلام بعد أن شاهد إبليس يقف مع الملائكة ويرفض السجود له أنه رمز للشر والحقد وأن الملائكة رمز للسلام والأمان.

وعلَّم الله تعالى آدم عليه السلام الأسماء كلها، ليبين للملائكة شرف آدم عليهم، وقال بعض المفسرين هى الأسماء التى يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وجبل، وبحر، وجمل، وحمار،

وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وأعلمه الله تعالى حقيقته وحكمة خلقه.

وبعد ذلك عرض الله تعالى هذه الأشياء على الملائكة فقال لهم: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١] فتحيرت الملائكة ولم تعرف هذه الأسماء وأقروا بعجزهم عن معرفة هذه الأسماء، فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة: ٣٢].

فنادى الله تعالى آدم وقال له: ﴿ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾[البقرة: ٣٣] فأخبرهم آدم بأسماء كل ما عرض عليهم.

وهنا أدركت الملائكة سبب سجودهم لآدم، وعلموا كونه خليفةً في الأرض.

ولما كانت الملائكة كل عملهم وكل شغلهم الشاغل هو عبادة الله سبحانه وتعالى لم يكن آدم يجد فرصة للتحدث معهم ولذلك شقى بالوحدة والوحشة.

واستيقظ آدم ذات يوم فوجد عند رأسه امرأة جميلة تنظر إليه.

فقال لها: من أين جئت فلم تكوني هنا من قبل؟

قالت له: جئت من نفسك. خلقني الله من ضلع من أضلاعك وأنت نائم.

فقال لها آدم: فما الحكمة من خلقك؟

فقالت حواء: لأكون سكناً لك.

فقال آدم: الحمد لله فقد كنت أعاني من الوحدة، ثم أطلق عليها آدم اسم حواء.

فلما سألته الملائكة عن معنى هذا الاسم بالذات.

قال: لقد خلقت منى، وأنا بشر حى.

وأمر الله تعالى آدم وحواء أن يسكنا الجنة وأن يتمتعا بما فيها.

إن الحياة فى الجنة حياة لا مثيل لها فهى تشبه الأحلام، فكل ما يتمناه المرء يجده بين يديه دون تعب أو مجهود أو مشقة فبمجرد أن يتمنى المرء شيئاً يجده أمامه من كل ألوان النعيم من الطعام والشراب والملبس. تجد الهدوء والأمان والسلام، تجد الروائح الذكية والألوان الزاهية.

وقد وجد آدم السعادة كلها مع زوجته فى الجنة وعرف معنى النعيم والراحة والطمأنينة.

كان يتحدث مع حواء. وكان يلعب معها ويسير معها وكانا يلهوان فى الجنة.

وقد أمرهما الله تعالى بأن يأكلا من كل الأشجار الموجودة فى الجنة ماعدا شجرة واحدة فقد نهاهما أن يقتربا منها.

فقال تعالى لهما فى بداية الأمر ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩]

وقد استوعب آدم وحواء هذا الأمر الإلهى وعلما أنهما ممنوعان من الأكل من هذه الشجرة.

وهنا بدأ إبليس، عليه اللعنة، يمارس عمله الشرير فى إغواء بنى آدم.

فذهب إلى آدم وأخذ يوسوس إليه مرة بعد أخرى فقال له: يا آدم أتعرف لِمَ منعك الله أنت وزوجتك أن تأكلا من هذه الشجرة؟

إن هذه الشجرة هى شجرة الخلود.. إنك إن أكلت منها فلن تموت

أبداً . . ستصبح أنت وحواء من الملائكة المخلدين .

بدأت هذه المسألة تشغل تفكير آدم وحواء . إن آدم إنسان ، والإنسان ينسى ، فنسى هو وحواء أن إبليس عدوهما القديم ، فاقتربا من الشجرة وأكلا من ثمارها .

ولم يكد آدم ينتهى من الأكل حتى أحس بالخجل والحزن وانقبض صدره . . وتغيّر الجو حوله .

وجد آدم نفسه عارياً . . ووجد زوجته عارية وأخذ هو وزوجته يقطعان من أوراق الشجر لكى يغطى كلٌّ منهما جسده العارى .

ثم أمرهما الحق تعالى بالهبوط من الجنة : ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ . . .﴾ [الأعراف : ٢٢]

اهبطوا منها جميعاً إلى الأرض فهى مستقر ومتاع إلى حين .

وكانت حسرة وندماً على آدم وحواء . . خرجا من الجنة وهبطا إلى الأرض ، وكان آدم مهموماً حزيناً ، وكانت حواء لا تكف عن البكاء .

وقد تابا توبة صادقة خالصة ، فتقبل الله منهما التوبة ، وقد أخبرهما الحق : أن هذه الأرض هى مكانكما الأصيل . . ستعيشان فيها وتموتان فيها وتبعثان يوم القيامة منها .

وهنا أدرك آدم بأنه قد ترك حياة السعادة والنعيم والترف إلى حياة الشقاء والتراب والتعب .

وبدأ آدم حياته كإنسان عادى على الأرض يبحث عن بيت يقيه الحر والبرد والمطر .

يجب أن يزرع ليأكل .

يجب أن يحمى نفسه وزوجته وأولاده من الوحوش والحيوانات الموجودة على الأرض.

بدأ آدم يعد نفسه للصراع مع إبليس.. فهو السبب فى خروجه من الجنة.. وهو الذى يوسوس له فى الأرض ويوسوس لأبنائه وذريته.

وبدأت المعركة بين الخير والشر.

إن من يتّبع هدى الله فلا خوف عليه ولا حزن، ومن يعص الله ويتبع الشيطان والهوى فإن موعده النار مع إبليس عليه اللعنة.

أدرك آدم أنه جاء سلطاناً على هذه الأرض وأنه يجب أن يبنيها ويخضعها ويزرعها ويعمرها، ويترك فيها أجيالاً صالحة تغير شكل الحياة وتجعلها أفضل.

ولما اقترب أجل آدم عليه السلام وعلم أنه ذاهب للقاء ربه جمع أبناءه وأحفاده.. وأخبرهم بأنه لا نجاة ولا خلاص إلا بعبادة الله وحده ومحاربة النفس والشهوات، وأنه لا نجاة إلا بمخالفة إبليس عليه اللعنة.

وقد أخبر آدم أبناءه بأن الله سيرسل أنبياء ورسلاً لهداية الناس فى الأرض، وسيدعون إلى عبادة الله وحده.

ثم أسلم آدم عليه السلام نفسه إلى ملك الموت، وابتسم ابتسامة رقيقة لأنه مشتاق إلى لقاء ربه.

«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خُلِقَ آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها».

نـــوح عليه السلام

بعد موت آدم عليه السلام جاءت عدة أجيال صالحة. وكان من بين هذه الأجيال بعض الرجال عرفوا بالتقوى والورع والصلاح وكانوا من أجداد قوم نوح عليه السلام قد عاشوا زمناً ثم ماتوا.

وكانوا خمسة رجال وهم: «ود» و «سواع» و «يغوث» و «يعوق» و «نسر».

وبعد أن مات هؤلاء الرجال الخمسة صنع لهم الناس الذين عاصروهم تماثيل لكى يذكروهم بها دائماً.

ثم مرت أجيال وأجيال حتى خفيت العلة من صنع هذه التماثيل، ولم تعلم الأجيال الجديدة لماذا صنعت هذه التماثيل بمعرفة أجدادهم.

وكانت الفرصة لإبليس فى ذلك الوقت عظيمة فاستغلها إبليس على وجه السرعة فأخذ يوسوس للناس ويقول لهم بأن هذه التماثيل إنما هى آلهة معبودة.

وبدأت عبادة الأصنام تظهر على الأرض، وتغير كل جميل على الأرض.

أصبح الصنم يُعْبَدُ من دون الله سبحانه وتعالى، وكانت الأرض فى هذه الحالة فى حاجة إلى نبى مرسل لهداية الناس إلى طريق الصواب، وجاء سيدنا نوح عليه السلام.

كان نوح إنساناً طيباً صالحاً.. ولم يكن رجلاً غنياً ولا زعيماً فى قومه.. ولا من أغنيائهم، ولكنه كان طاهر القلب، نقى السريرة، حسن المنطق.

وكان نوح شاكراً لأنعم الله عليه فكان يشكر ربه إذا أكل أو شرب أو لبس: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

خرج نوح على قومه بدعوة الحق فكان يخاطب قومه قائلاً لهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف: ٥٩].

وكان قوم نوح يقال لهم «بنو راسب» وكان نوح أول رسول يبعث إلى أهل الأرض.

راح نوح عليه السلام يهدى قومه إلى الطريق المستقيم وقال لهم إنه ليس هناك إله مع الله وأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق القهار.

وقد أخبرهم بأن الشيطان قد أضلهم طويلاً وقد آن الأوان لينتهوا عن هذا ويعبدوا الله خالقهم.

فقال لهم: يا قوم إن الله هو الذى يرزقكم، وإنه هو الذى وهبكم نعمة العقل، فاستغفروه وتوبوا إليه فهو غفّار الذنوب.

لم يكن قوم نوح على استعداد لقبول هذه الدعوة المفاجئة التى جاءت لتغير الأوضاع السائدة من فترة طويلة.

فلم يتبع نوح إلاّ الفقراء والضعفاء والمساكين وذلك لأنهم علموا أنها دعوة الحق وأن هذه الدعوة هى التى ستنجيهم مما هم فيه.

أما طبقة الأغنياء والكبراء والزعماء فقد رفضوا هذه الدعوة وحاربوها منذ بدايتها وعملوا على هدمها لأنهم هم المستفيدون من هذا الوضع.

فبدأوا يقذفون نوحاً بالتهم والأباطيل فتارة يقولون له إنك بشر: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧].

فأكد نوح لهم بأنه بشر وأن الله يرسل إلى البشر رسولاً منهم بشراً

مثلهم، ولو كان على الأرض ملائكة تسكنها لأرسل إليهم رسولاً من الملائكة.

ثم يعود قوم نوح ويعيرونه بأنه لم يتبعه إلا الفقراء والمساكين.

فقال لهم نوح: إن هؤلاء الفقراء والمساكين هم الذين آمنوا بربهم، وأن الله هو الملمّ بما فى أنفسهم.

وأراد الذين كفروا من قوم نوح أن يساوموه على الإيمان فقالوا له: اطرد الذين آمنوا بك، فى أول الأمر، فإنهم فقراء وضعفاء ويستحيل علينا ونحن سادة القوم وأغنياؤهم أن تجمعنا وإياهم دعوة واحدة.

وهنا أدرك نوح أن هؤلاء القوم معاندون وأنه لا أمل فى إيمانهم أو اتباعهم للحق، وأخبرهم بأن هؤلاء الفقراء إن هم إلا أتباع الله وليسوا أتباعى.

ثم ذهب القوم إلى السباب والشتائم: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠].

فرد عليهم نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٦١, ٦٢].

وقد دعا نوح قومه إلى الله بجميع أنواع الدعوة فى الليل والنهار، والسر والإجهار، بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، يضرب لهم الأمثال ويبين لهم قدرة الله فى الكائنات ولكنهم كان يفرون منه، وكلما دعاهم ليغفر الله لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستكبروا استكباراً.

استمرت دعوة نوح إلى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولكن دون جدوى فلم يزد عدد المؤمنين، وكان نوح فى حزن شديد.

وكانت أعمار الناس فى تلك الفترة طويلة وذلك لبيان معجزة نوح عليه السلام.

وأخيراً.. أوحى الحق سبحانه وتعالى إلى نوح: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾[هود: ٣٦]، وأخبره الله بألا يحزن عليهم.

هنا اطمأن قلب نوح وعلم غاية الأمر فدعا على القوم الكافرين بالهلاك، فاستجاب له ربه وأمره بأن يصنع سفينة كبيرة.

نهض نوح عليه السلام فزرع شجراً كثير لكى يستغل أخشابه فى صناعة السفينة، وانتظر حتى كبر الشجر فقطعه وبدأ فى أعمال النجارة، حتى فرغ من بناء سفينة عظيمة من ثلاثة طوابق: طبقة للحيوانات وطبقة للناس وطبقة للطيور وكان لها غطاء ولها باب فى وسطها.

وكان الكافرون يمرون عليه ويستهزئون منه ويقولون له: من أين ستأتى بالماء الذى سيحمل سفينتك يا نوح؟

وأن الجفاف يسود البلاد فى تلك الفترة.

فقال لهم نوح: إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون.

ثم بدأت علامات الطوفان فحمل نوح فى السفينة من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين.

ولم تكن زوجة نوح من المؤمنين فلم تركب معهم فى السفينة، وكذلك لم يكن أحد من أبنائه مؤمناً.

وقال نوح: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

خرج الطوفان من كل فتحة من فتحات الأرض فنبعت ما فيها من ماء

بشدة وغزارة وأمطرت السماء مطراً شديداً لم تمطر مثله من قبل، وارتفع الماء على أعلى جبل فى الأرض بمقدار خمسة عشر ذراعاً.

وقال نوح: ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

قال ابنه: ﴿ سَآوِى إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَاءِ ﴾ [هود: ٤٣].

قال نوح: ﴿ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ [هود: ٤٣].

وارتفع الماء وغرق ابن نوح.

لم يبق على الأرض أى كائن حياً إلا من هم على السفينة. وكانت السفينة تجرى بهم فى موج كالجبال، واستمر الطوفان زمناً.

ثم أرسل الله ريحاً على وجه الأرض فسكن الماء وانسدت الينابيع وأخذ الماء ينقص ويقل، وأمر الله السماء بأن تكف عن المطر.

ثم رست السفينة بعد ذلك على «الجودى» وهو اسم لمكان قديم.

فأرسل نوح حمامة للاستطلاع فعادت وفى فمها غصن زيتون فعلم أن الأرض قد ظهرت، وأن الطوفان قد انتهى.

نزل نوح من السفينة وأطلق سراح كل من كان فى السفينة من طيور ووحوش وإنس، ثم سجد لله شكراً.

ثم قام وأوقد ناراً وجلس هو وقومه حولها يطهون الطعام ويتحدثون ويتسامرون، وعلت الفرحة على الوجوه، وعادت الحياة إلى الأرض وتجلت عظمة الحق فى الطوفان.

هـود عليه السلام

عاد الناس مرة أخرى إلى عبادة الأصنام، ونسى الناس وصية جدهم نوح عليه السلام، فقد عبدوا الأصنام بنفس الطريقة التى اتبعها الذين من قبلهم.

قالوا: إننا لا نريد أن ننسى أجدادنا الصالحين الذين نجّاهم الله من الطوفان.

يجب أن نصنع لهم تماثيل لنذكرهم بها.

وكالعادة استغل إبليس هذه الفعلة ووسوس لهم وزين لهم الكفر وعبادة الأصنام فعبدوها.

وكما وعد الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الإسراء: ١٥] فأرسل إليهم هوداً عليه السلام نبياً مرشداً.

وكانت قبيلة هود التى بعثه الله فيهم يقال لها «عاد» كانوا عرباً يسكنون جبال الرمل باليمن بأرض مطلة على البحر بمكان يسمى «الأحقاف»، وكانوا يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام المرتفعة: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧].

وكان قوم عاد ذوى قوة فى الأجسام والطول والشدة، وكانوا عمالقة أقوياء.

كانت قبيلة عاد هى أول من عبد الأصنام بعد الطوفان،

وكانت لهم أصنام ثلاثة: «صدا» و «صمودا» و «هرا» وكانوا يدافعون عن تلك الأصنام ويسخرون من نبيهم هود عليه السلام ويتهمونه بالكذب وقالوا: من أشد منا قوة.

قال لهم هود: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣].

قالوا: يا هود أتريد أن تكون ملكاً علينا؟ هل تريد أجراً أو مالاً على ذلك؟

قال هود عليه السلام: يا قوم إنَّ أجرى على الله.. أنا لا أريد منكم شيئاً.. إنما أريد منكم أن تزيلوا الغشاوة التى أظلمت عقولكم.

وذكّرهم هود بأنعم الله عليهم، وكيف جعلهم خلفاء فى الأرض من بعد نوح عليه السلام، وأن الله أعطاهم بسطة فى الجسم، وشدة وقوة.

قال هود: يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وكيف أسكنكم الأرض الخصبة الطيبة التى تمنحكم الزرع، وكيف أنزل عليكم الماء من السماء ليحيى به الأرض.

ولكن الكبر والغرور أعماهم وزادهم عناداً.

فقالوا لهود: أتريد أن نترك ما كان يعبد آباؤنا؟

قال هود: لقد كان آباؤكم مخطئين.

قال قوم هود: أتريد أن تقول بأننا سوف نعود أحياء مرة أخرى بعد أن نموت ونصبح عظاماً وتراباً؟

قال هود: نعم ستعودون، وسوف يُسأل كل واحد منكم عما فعل من ذنب ومعصية.

قال قوم هود: إننا نتعجب كيف يبعث الله من بيننا بشراً ويوحى إليه ويجعله نبياً؟

قال هود: يا قوم لِمَ تعجبون من ذلك؟! إن الله يريد أن يبعدكم عن الضلالة التى أنتم فيها، هل نسيتم قصة نوح والطوفان والسفينة، إنها ليست منكم ببعيد؟

يا قوم يجب أن تأخذوا من ذلك عبرة، إنما يهلك الذين يكفرون بالله دائماً، وذلك إلى يوم القيامة.

قال قوم هود: إنّا نراك فى سفاهة وإنك لكاذب فيما تقول.

قال هود: يا قوم، إنه ليس بى سفاهة ولكنى رسول الله أرسلنى إليكم لكى أهديكم وأرشدكم إلى سواء السبيل، وأبلغكم رسالات ربى، وأنا ناصح لكم فيما أقول.

قال قوم هود: إنا لن نفعل ذلك ونترك أصنامنا أبداً وافعل ما أنت فاعل.

لقد عرفنا الآن أنك مجنون وقد غضبت الآلهة عليك.

قال هود: أنا برىء منكم ومن آلهتكم، أنا متوكل على الله ومتأيد به، وهو لا يضيع من لجأ إليه، أنا لا أبالى مخلوقاً سواه، ولا أعبد إلا إياه.

يا قوم: لقد استحققتم العذاب بهذه المقالة الرجس والغضب من الله.

فانتظروا الآن عذاب الله الواقع بكم وبأسه الذى لا يرد.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾

[المؤمنون: ٣٩, ٤٠]

انتظر هود. . وانتظر وقومه عذاب الله.

فلم تعد السماء تمطر، وبدأ الجفاف فى الأرض، واشتدت حرارة الشمس.

قال قوم هود: ما هذا الجفاف يا هود؟

قال هود: إن الله قد غضب عليكم، فلو آمنتم به فسوف يرضى عنكم ويرسل عليكم المطر مرة أخرى، ويزيدكم قوة إلى قوتكم.

فسخروا منه مرة أخرى وازدادوا عناداً وكفراً.

وساق الله على قوم هود سحابة سوداء بما فيها من النقمة جاءتهم من واد يقال له «المغيث».

قال قوم هود لما رأوها: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]، اعتقدوا أن آلهتهم قد أرسلت إليهم المطر.

قال هود: بل هو العذاب الذى كنتم تستعجلوننى به، وفيه ريح عظيمة.

سخر الله عليهم تلك السحابة سبع ليال وثمانية أيام دائمة لا تنقطع، فلم تدع من عاد أحداً إلا أهلكته.

واعتزل هود عليه السلام هو ومن معه من المؤمنين فى حظيرة لا يصيبهم مكروه.

اشتد هبوب الرياح، واقتلعت الخيام ومزقت الأجساد فلم تُبْقِ على أحد من الكافرين. وكانت الرياح لا تمر على شىء إلا قتلته ودمرته وجعلته كالرميم.

وتوقفت الرياح بعد ذلك بإذن ربها.

ولم يبق من هود إلا آثار كالذى يبقى من النخل اليابس، لا يكاد يمسه المرء حتى يصير ذرات فى الهواء.

ونجا هود والمؤمنون.. وهلك كل جبار عنيد.

صالح عليه السلام

جاء بعد قوم هود بعدة أجيال قوم يقال لهم «ثمود» وكانت تلك القبيلة كذلك تعبد الأصنام، فأرسل الله تعالى فيهم «سيدنا صالحاً» عليه السلام، وقال لهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٨٤].

وهى نفس العبارة التى يرددها كل نبى إلى قومه.

وكالعادة يفاجأ القوم بهذه الدعوة التى تطالبهم بترك ما كان عليه آباؤهم وما ألفوه من سنين طويلة وخاصة كبراء القوم الذين يرفضون مثل تلك الدعوة التى تجعلهم على قدم المساواة مع الفقراء والمساكين. ولما كان صالح معروفاً بالحكمة والعقل والأمانة، فقد كان محترماً بين قومه وله مكانة ورأى.

فقال له قومه: ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

وكانت مساكن ثمود بالحِجْر وموقعها بين الحجاز والشام وقد اتخذوا من الجبال بيوتاً فنحتوا منها وجَوفوها وكانوا فى سعة من معايشهم.

وكانوا لا يصدقون صالحاً فما يقول، ويشكون فى دعوته، فقالوا: إنه مسحور، وطلبوا منه أن يأتى لهم بمعجزة تثبت لهم أنه رسول الله إليهم.

فقال لهم صالح لما قالوا له ذلك ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ [هود: ٦٤] وذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر صخرة يوماً فى الجبل فانشقت وخرجت منها الناقة، وقد جاءت الناقة بطريقة لم يألفها الناس من قبل. جاءت بطريقة خارقة للعادة والنواميس. وكانت هذه هى المعجزة الكبرى.

كانت هذه الناقة تقاسم القوم فى شربهم، فكانت تشرب المياه الموجودة فى الآبار يوماً ويشرب القوم يوماً آخر، وكانت تدر لبناً يكفى لشرب الناس جميعاً فى اليوم الذى تشرب فيه الماء فلا يبقى منه شىء للناس.

وقد نُسبَتْ هذه الناقة إلى الله سبحانه وتعالى : ﴿ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [هود: ٦٤] لأنها ليستَ ناقة عادية وإنما هى معجزة .

وأمر صالح عليه السلام قومه بألا يتعرضوا لهذه الناقة بسوء أو إيذاء أو قتل .

قال لهم : ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللَّهِ﴾ [هود: ٦٤] .

يا قوم إننى أحذركم من عذاب قريب إذا أنتم مددتم أيديكم بأذى لهذه الناقة .

تعجب قوم صالح فى بداية الأمر لمشاهدة أمر لم يألفوه ، فلقد كانت ناقة غير عادية . . ناقة مباركة . . كان لبنها يكفى الآلاف من الناس ، وكانت لا تنام إلا فى أماكن طاهرة ، كانت آية من الله . .

عاشت الناقة فترة من الزمن بين ثمود ، ولقد آمن بعض القوم لما رأوا هذه المعجزة ، وظل آخرون منهم على كفره وعناده .

بدأ الكافرون من القوم ينظرون إلى الناقة بعين الحقد والكراهية وبدأوا يعدون لها المؤامرات ويبيتون لها سوء النوايا .

جلس كبراء القوم فى الليل داخل قصر منحوت بالجبل يخططون للخلاص من تلك الناقة .

فقال أحدهم : إن الناقة تحضر أثناء الحر فى ظل الوادى البارد فتهرب المواشى إلى الحر .

وقال آخر : إن العكس يحدث فى الشتاء فتأتى الناقة فى المكان الدافىء وتذهب المواشى إلى المكان البارد القارس وتتعرض للموت .

ثم قال كبيرهم : يا قوم ، إنه ليس أمامنا سوى حل واحد لا بديل له .

فقال الكفار فى شغف ولهفة : ما هذا الحل؟

قال كبيرهم : إن الحل الوحيد هو قتل الناقة .

فقال أحدهم : لقد علمتم أن صالح قد حذرنا من قتل هذه الناقة وقال لنا : إنه العذاب الأليم .

فقال كبيرهم : نحن لا نصدقه فيما يقول .

وبدأ الإعداد والتفكير فى قتل الناقة : اختاروا تسعة من الرجال المجرمين والمفسدين فى الأرض وجعلوا على رأسهم رجلاً يقال له «قدار ابن سالف بن حبذع» وهو أشدهم قسوة وكفراً .

وقد حددوا وقتاً لقتل الناقة وان من الطبيعى أن يكون فى الخفاء . . وفى الليل المظلم أقبلوا نحو الناقة وهى نائمة تضم إليها ابنها الصغير .

وكانوا قد جهزوا أسلحتهم وسيوفهم وسهامهم وأخذوا يتسللون فى جوف الظلام .

وهجم المجرمون التسعة على الناقة وولدها على حين غفلة ففزعت الناقة ونهضت من مكانها ونظر طفلها فى ذعر وخوف .

وتقدم رئيسهم قدار بن سالف بدأها وبضربة على رجلها فسقطت على الأرض متألمة ، وبدأت السيوف والسهام تنهال عليها من كل جانب حتى ماتت هى وطفلها .

فلما علم صالح بما حدث غضب غضباً شديداً وخرج على قومه وقال لهم : يا قوم ألم أحذركم من المساس بهذه الناقة؟

فقال قومه : لقد قتلناها يا صالح ، فافعل ما أنت فاعل .

فقال صالح : ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥].

فلم يصدقوه فى هذا الوعد الأكيد، ثم هموا فى قتل صالح نفسه، وذلك فى المساء من هذا اليوم، واتفقوا على أن ينكروا قتله إذا سألهم أحد عنه، قال تعالى : ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠, ٥١].

فلما أشرقت شمس اليوم الثالث الذى وعدهم إياه صالح جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم. . ففاضت الأرواح. . وزهقت النفوس، وخشعت الأصوات. . فأصبحوا فى دارهم جاثمين أجساداً لا أرواح فيها ولا حراك بها.

﴿أَلا إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٨]، أما الذين آمنوا بسيدنا صالح فقد نجوا مع نبيهم عليه السلام.

إبـراهيم عليه السلام

ظل الناس على وتيـرة واحـدة لا تتـغيـر، يصنعـون الأصنام، ثم يعبدونها؛ فيأتيهم رسول من عند ربهم فيذكرهم بعبادة الله وحده؛ فمنهم من يؤمن ويعود إلى الحق ومنهم الذى يظل على كفره وعناده حتى يأتى أمر الله فيهم، كما حدث مع قوم، نوح وقوم هود وقوم صالح.

وإننا عندما نتأمل الإنسان نجد أن الله تعالى قد وهبه نعمة العقل لكى يميزه عن البهائم وسائر المخلوقات.

فعلى الإنسان أن يهتدى إلى الله بعقله وفكره؛ ولذلك فإن بعث الرسل من قبَل الحق سبحانه وتعالى إنْ هو إلا تفضُّل منه على العباد، ورحمة منه لَلعالَمين، وإن هذا سوف يتجلى لنا فى قصة إبراهيم عليه السلام.

وهو إبراهيم خليل الله بن تارح بن ناحور. وقد كان فتى من أهل مذان آرام بالعراق.

ويقال إنه تربى فى كنف عمه بعد موت أبيه، وهو صغير السن، فكان له بمنزلة الأب، وكان يدعوه بكلمة أبى، وكان أبوه يعمل نجاراً يصنع التماثيل ويبيعها لمن يعبدونها وكان قوم إبراهيم عَبَدَةَ أوثان.

لقد كان إبراهيم عليه السلام منذ طفولته ذا بصيرة نافذة وعقل مضىء.

وكان إبراهيم يشاهد أباه وهو يصنع التماثيل الغريبة فسأله عنها فقال أبوه: إنها تماثيل الآلهة. ولكن إبراهيم لم يتقبل المسألة وأنكرها من داخل نفسه.

وكان إبراهيم وهو طفل يهزأ بهذه التماثيل الآلهة، وكان يركب على ظهورها كما يركب على الحمار. حتى أن أباه رآه يوماً وهو يركب على ظهر تمثال «مردوخ» وهو كبير الآلهة، فزجره ونهاه عن ذلك فقال إبراهيم لأبيه: لمن هذا التمثال الكبير يا أبى؟

فقال أبوه: إنه مردوخ رب الأرباب!

فقال إبراهيم: إن شكله يشبه شكل الحمار. إنى أعجب كيف يعبد الناس تمثالاً له أذنان مثل آذان الحمير.

كان إبراهيم يخلو بنفسه ويتفكر ويتعجب كيف يعبد إنسان ذو عقل وبصيرة تمثالاً لا ينفع ولا يضر، لا يتكلم ولا يتحرك ولا يرد عن نفسه أذى؟

كيف يصنع إنسانٌ صنماً بيده ثم بعد ذلك يسجد له؟

ظلت هذه الأفكار تراود إبراهيم طويلاً:

هل يكون هو وحده على حق.. وكل هؤلاء القوم على خطأ؟

وكان لقومه معبد كبير مملوء بالتماثيل، وكانت هذه التماثيل على مختلف الأنواع والأشكال وكان هناك مكان يوضع فيه أكبر الآلهة..

كان إبراهيم يشاهد قومه وهم يذهبون داخل المعبد ويسجدون لتلك الأصنام ويبكون ويتوسلون، فكان يضحك ويتعجب.

وبعد ذلك تحول ضحكه وسخريته إلى غضب.. كيف ينخدع كل هؤلاء الناس؟!

وقد كان والد إبراهيم يريد من إبراهيم أن يكون كاهناً لخدمة المعبد.. ولكن كيف يتأتى ذلك وإبراهيم لا ينقطع عن الاحتقار والاستهزاء بتلك الآلهة المصنوعة بأيديهم؟

جلس إبراهيم مع نفسه قائلاً: لا يمكن أن يكون الله هو تلك التماثيل العقيمة البالية التى يصنعها الناس بأيديهم؟

خرج إبراهيم من بيته، حتى ذهب إلى الجبل ودخل إلى أحد الكهوف ليلاً.. ثم جلس ورفع عينيه إلى السماء.. فرأى كوكبًا مضيئاً فى السماء.. فقال: ربما يكون هذا هو الله؟.. ولكن الكوكب قد غاب بعد فترة.

فقال إبراهيم: لقد غاب الكوكب وأفل.. إنى لا أحب الآفلين، إن الله لا يأتى ويذهب، إن الكوكب ليس إلهاً، وبعد ذلك ظهر القمر بازغاً من السحاب فسطع نوره على الأرض كلها.

قال إبراهيم: ربما يكون هذا هو الله، ولكن القمر فعل كما فعل الكوكب فقد ذهب القمر وأفل، فقال إبراهيم مقالته السابقة: إنى لا أحبُ الآفلين، إن الله لا يغيب.

ثم جاء الصباح ورأى إبراهيم الشمس بازغة، فقال إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٢، ٤٥].

فقال الأب لإبراهيم غاضباً: هل كفرت بآلهتى ياإبراهيم؟ فإن لم تنته عن هذا الموقف لأرجمنك بالحجارة، وهذا أقل جزاء لمن يعادى الآلهة ويكفر بها، اخرج الآن من البيت، فليس لك مكان بيننا.

ولكن إبراهيم عليه السلام لم يقابل تلك الإساءة بإساءة مثلها بل كان يراعى أصول الأدب وصلة الأرحام فقال لأبيه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧].

وذهب إبراهيم بعيداً عن بيته وعن قومه وقد بيَّت فى نفسه أمراً.

لقد كان لقوم إبراهيم يوم معين من كل عام يتخذونه عيداً ويخرجون خارج المدينة على الضفة الأخرى من النهر، ولا يبقى منهم أحد داخل المدينة. وأراد إبراهيم أن يبين لقومه عجز الأوثان التى يعبدونها من دون الله: فانتهز فرصة خروجهم يوم عيدهم فقال له أبوه: لو خرجت معنا يا إبراهيم لأعجبك ديننا ولرضيت عنك الآلهة.

فخرج معهم إبراهيم حتى منتصف الطريق ثم قال لهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إننى مريض. [الصافات: ٨٩].

وتركهم وعاد وقال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وقد سمعها بعضهم منه وهو يقولها.

ثم توجه إبراهيم نحو المعبد، ودخل وفى يده فأس حادة.

نظر إبراهيم إلى التماثيل المنحوتة من الصخر والخشب، وكان الناس قد وضعوا أمام تلك التماثيل أنواعاً شتى من الأطعمة على سبيل النذور والهدايا، وأخذ إبراهيم يتحدث إلى الآلهة.

فقال لأحدهم: إن الطعام أمامك لماذا لا تأكل؟ فلم يرد عليه التمثال.

فقال إبراهيم للتماثيل كلها: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصافات: ٩١، ٩٢]، ثم بدأ يحطم تلك التماثيل الجامدة التى يعبدها قومه. لقد حطم جميع الأصنام إلا تمثالاً واحداً، وضع الفأس على كتفه، ثم عاد إلى بيته، بعد أن أبر بقسمه الذى أقسمه.

انتهى القوم من احتفالهم، ثم عادوا لكى يؤدوا طقوسهم داخل المعبد. وكانت المفاجأة الكبرى تنتظرهم، لقد وجدوا جميع الآلهة قد تحطمت.

﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾ [الأنبياء: ٥٩].

وقد تذكر بعض القوم مقالته فى الأصنام، فقالوا: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

أمر الحاكم بإحضاره واستجوابه. حضر إبراهيم فسألوه: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ فأشار إلى كبير الآلهة الذى حمل الفأس على كتفه، وقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

فقال كهنة المعبد: أنت تعرف أن الآلهة لا تنطق.

وهنا كانت الفرصة العظيمة لإبراهيم فقد قالوها بأفواههم.

وقال على الفور: يا قوم إن الله قد وهبكم عقولاً لتفكروا بها.. كيف تعبدون من دون الله أصناماً صنعتموها بأيديكم.. أصناماً لا تنفع ولا تضر.. أصناماً لم تستطع الدفاع عن نفسها فكيف ستدافع عنكم.. أو تدفع عنكم شراً.. أو تجلب لكم نفعاً.. إنهم لا ينطقون ولا يسمعون ولا يرون..

يا قوم اتقوا ربكم.. أين راحت عقولكم..

فغضب القوم غضباً شديداً.. وقالوا فى غيظ شديد: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

استعد الناس لإحراق إبراهيم.. وجاء الناس من كل مكان شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ليشهدوا حرق ذلك الرجل الذى أهان الآلهة واعتدى عليها وسخر منها..

فقاموا بحفر حفرة عميقة وملأوها بالخشب والحطب وأشعلوا فيها النار.. وكانت النار من شدتها لا يستطيع أحد أن يقترب منها حتى أن الطيور فى السماء كانت تتساقط محترقة من شدة حرها..

فلم يستطيعوا أن يلقوا فيها إبراهيم من قريب.. فصنعوا له «منجنيق» وهى آلة تستخدم لقذف الأشياء بعيداً.. ووضعوا إبراهيم على المنجنيق وقيدوه قيداً محكماً.

ثم حان الوقت.. وصدر الأمر بإلقاء إبراهيم... وفعلاً قذفه المنجنيق عالياً فى الهواء متجهاً نحو الحفرة.

وأثناء وجود إبراهيم فى الهواء جاءه جبريل عليه السلام.

قال جبريل: يا إبراهيم.. هل لك حاجة تريدها؟

قال إبراهيم: أمّا لك فلا.. وأما لربى فعلمه بحالى يغنيه عن سؤالى.

وسقط إبراهيم بعد ذلك فى الحفرة..

وهنا تجلت العظمة الإلهية، فخاطب الله سبحانه وتعالى النار وأمرها قائلاً: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وفعلاً أطاعت النار ربها وكانت باردة على إبراهيم.

جلس إبراهيم فى وسط النار كأنه فى بستان أخضر، وكان يذكر ربه ويسبح بحمده.

لقد كان إبراهيم متوكلاً على ربه.. وكان يعلم كل العلم أن الله لن يتركه ولن يخزيه وسيكون ناصره ومعينه.

ولما انطفأت النار.. كادت الدهشة أن تقتل قوم إبراهيم فقد وجدوه يخرج من الحفرة وكأن شيئاً لم يكن.. لقد خرج سليماً لم يمسسه سوء.

انتشر الخبر العجيب فى كل الأنحاء.. وجاء الناس من كل مكان يسألون عن تلك المعجزة.. حتى أنهم قالوا: إن إله إبراهيم قد نجَّى إبراهيم من النار..

لما سمع الملك وكان اسمه النمروذ بأمر إبراهيم وتلك المعجزة التى حدثت له بدأ القلق يساوره وخشى على عرشه فأرسل إلى إبراهيم:

فقال النمروذ لإبراهيم: سمعنا أنك تدعو لإله جديد.

قال إبراهيم: إنى أدعو إلى إله واحد هو الله رب العالمين.

قال النمروذ: وهل يفعل ربك أكثر مما أفعل أنا؟

قال إبراهيم: إن ربى يحيى ويميت.

قال النمروذ: أنا أحيى وأميت.

فقال إبراهيم: كيف ذلك؟

قال النمروذ: آخذ رجلين فأحكم عليهما بالقتل فأقتل أحدهما فأكون قد أمتُّه، وأعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته.

فضحك إبراهيم ساخراً من هذا الكلام الساذج.

ثم قال للنمروذ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فسكت النمروذ ولم يستطع الكلام، وأحس بالعجز والحرج ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

لقد أثبت له إبراهيم كذب كلامه.. وتحداه بأن يغير نظام الكون المحكم صنعة الله الذى أتقن صنعته وأحكمها.

ولو كان النمروذ صادقاً فيما قال لفعل ما قال له إبراهيم.

تكلم الناس عن معجزة إبراهيم، وعن حكايته مع الملك النمروذ.

واستمر إبراهيم عليه السلام فى دعوته إلى الله تعالى.. كان يفعل كل ما يقدر عليه لكى يهدى الناس إلى طريق الحق.

ولكن الحقد والكبر تغلب على الناس فابتعدوا عنه وهجروه، ولم يؤمن به سوى امرأة تسمى «سارة» وقد تزوجها إبراهيم فيما بعد، ورجل واحد هو «لوط» عليه السلام الذى صار نبياً فيما بعد وأرسل فى قومه.

ولما وجد إبراهيم أنه لا فائدة من دعوته قرر الهجرة.

سافر إبراهيم إلى مدينة اسمها «آور» ومدينة تدعى «حاران» ثم بعد ذلك إلى «فلسطين» ومعه سارة زوجته ومعهما لوط.

وبعد ذلك ذهب إبراهيم إلى «مصر».

وكان فى كل هذه الرحلات يدعو الناس إلى عبادة الله وحده، وكان يعين الفقير والضعيف وذا الحاجة.

وقد أهدى فرعون مصر إلى سارة جارية اسمها «هاجر» وكان إبراهيم قد تقدم به العمر وابيضَّ شعره وكانت سارة لا تلد. وكانت تلك الجارية ذات هيبة ووقار فوهبتها سارة لإبراهيم وقالت: لعل الله أن يرزقك منها الولد.

تزوجها إبراهيم وأنجبت له ولداً فسماه أبوه «إسماعيل»، ثم كافأ الله سارة على تلك التضحية وحبها وإيمانها وكثرة دعائها بأن ولدت هى الأخرى لسيدنا إبراهيم ولداً سمته «إسحاق» رغم تقدمها فى السن.

وكان إبراهيم طول هذه الفترة ينشر دعوته ويدعو الناس ويتقرب إلى الله، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[النساء: ١٢٥] وهى مكانة لم تكن لأحد من الأنبياء والرسل.

كان إبراهيم عليه السلام يؤمن بيوم القيامة ويؤمن بالبعث ويؤمن بالحساب. ثم أراد ذات يوم أنه يرى مشهداً حسياً فى كيفية بعث الموتى..

فقال لله سبحانه وتعالى ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فقال إبراهيم: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٥٠].

فأمره الله تعالى بأن يأخذ أربعة من الطير، فيذبحها، ويقطعها قطعاً صغيرة. ثم يخلطها على بعضها، ثم يوزعها على الجبال، ثم يناديها.. فسيجد أنها تعود إليه مرة أخرى وكأن شيئاً لم يحدث..

أمر إبراهيم زوجته هاجر بأن تحمل ابنها وتستعد للرحيل وكان إسماعيل رضيعاً فى ذلك الوقت..

وسار إبراهيم مع أهله يجوب الصحراء والوديان والجبال حتى وصل إلى أرض الجزيرة العربية وكانت صحراء واسعة. وذهب إبراهيم بأهله

إلى واد قفر ليس فيه أثر لحياة ولا نبات ولا ماء ولا طير . .

نزل إبراهيم فى هذا المكان بأهله وتركهما هناك . . وكان معهما طعام لا يكفى يومين فلحقته زوجته وقالت : إلى أين أنت ذاهب؟ هل ستتركنا فى هذا المكان الموحش؟

فلم يرد عليها إبراهيم .

فقالت له : هل أمرك الله بذلك؟

فقال : نعم .

فقالت الزوجة المؤمنة : فلن يضيعنا الله أبداً .

ورفع إبراهيم صوته بالدعاء قائلاً : ﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم : ٣٧] وقد كان البيت الحرام ـ أى الكعبة ـ لم يُبْنَ بعدُ .

وكانت حكمة الله أن يمتد العمران إلى هذا المكان وأن يقام فيه بيت الله الذى يتجه إليه الناس من كل مكان فى الأرض .

أحس إسماعيل بالعطش ونفد الماء . . وكانت الشمس شديدة والحرارة ملهبة . . وبدأ الموقف يتأزم .

بدأ الطفل يبكى . .

وكانت الأم فى حيرة من أمرها . .

فانطلقت فى الصحراء تبحث عن الماء . .

ذهبت مسرعة حتى وصلت إلى جبل «الصفا» وصعدت ذلك الجبل وراحت تنظر يميناً وشمالاً تبحث عن إنسان أو خيمة أو بئر . . وكأنها لم تجد شيئاً .

ثم هبطت .

وعادت مسرعة حتى وصلت إلى جبل «المروة» وفعلت كما فعلت على الصفا. ولكن كانت النتيجة لا شيء.

وأخذت الأم تجرى وتسعى بين الجبلين الصفا والمروة سبع مرات.. تذهب وتعود.. ولهذا كان السبب لسعى الحجاج بين الصفا والمروة سبع مرات..

جلست سارة بجانب طفلها تبكى حزينة لا حول لها ولا قوة.

وفجأة ضرب إسماعيل الأرض برجله فانفجرت بئر زمزم تحت قدميه.

وانطلق الماء من البئر، فشكرت هاجر ربها وشرب إسماعيل.. وشربت، وظل الماء إلى يومنا هذا..

توجهت القوافل إلى المنطقة واستقرت فيها.. بسبب وجود الماء وظهور العمران..

وشب إسماعيل..

وكان إبراهيم يزور ابنه من الحين إلى الحين.

ورأى إبراهيم فى منامه أنه يذبح ابنه إسماعيل..

ورؤيا الأنبياء حق.. فهى أمر من الله إلى نبيه.. وكان اختباراً كبيراً لإبراهيم.

قال إبراهيم لابنه إسماعيل: يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى؟

قال إسماعيل فى أدب واستحياء: يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين.

لقد علم إسماعيل ببصيرته، وهو الذى كان فيما بعد نبياً، أن هذا أمر من الله تعالى لأبيه.

فلما أقبل إبراهيم على ذبح ابنه بالفعل، وألقاه على وجهه، ووضع السكين على رقبته ناداه الله بأن يكف وأن فعله هذا يعد تصديقاً لأمر الله . .

ووجد إبراهيم كبشاً قريباً منه فذبحه فدية عن ولده إسماعيل . .

وأصبح هذا يوم عيد يحتفل فيه المسلمون فى أنحاء الأرض ويذبحون الأضاحى .

بعد ذلك أصدر الله تعالى أمره إلى إبراهيم وإسماعيل أن يبنيا الكعبة لتكون بيتاً لله فى الأرض إلى أن تقوم الساعة .

بدأ إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ فى بناء الكعبة المشرفة، فجمعا الأحجار من الجبال، وحفرا فى الأرض حفرة تكون أساساً للبيت .

وارتفع البناء يوماً بعد يوم .

وظهر البيت الحرام . . ظهرت الكعبة المشرفة . . ظهر أول بيت وضع للناس . . أشرف بيت فى أشرف بقعة فى الأرض .

ثم بحث إبراهيم عن حجر يختلف لونه عن لون الكعبة ليبدأ من عنده الحجاج طوافهم، فأحضر له الملائكة الحجر الأسود، فقبّله إبراهيم عليه السلام ووضعه من مكانه فى البيت .

وكرّم الله هذا البيت وشرّفه فأمر الناس بأن يحجوا إليه، وأن يطوفوا حوله .

وكان دعاء إبراهيم وإسماعيل أثناء ذلك ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨] .

إسحـــاق عليه السلام

سيدنا إسحاق عليه السلام، ويقال له (يصحق) بالعبرانية ومعناها (يضحك) وهو ابن سيدنا إبراهيم عليه السلام من زوجته السيدة (سارة).

ولما رأت السيدة (سارة) أنه قد صار لها ابن كبر عليها أن يشترك معه فى ميراث أبيه إسماعيل ابن هاجر فطلبت من إبراهيم أن يبعد إسماعيل وهاجر عنها وأراد الله ما طلبته.

وقد ذكر القرآن الكريم من قصة إسحاق البشارة به وأنه غلام عليم وأنه نبى من الصالحين وأن الله بارك عليه وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٢، ١١٣].

وقد ذكره القرآن أنه من عباده المخلصين ومن أهل القوة والطاعة على عبادته ومن ذوى العقول الراجحة الذين خصهم الله بحسن الذكرى فى الدار الآخرة فعملوا لها فى الدنيا، وأنه من الذين اصطفاهم الله من الأخيار فى قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥، ٤٨].

وقد توفى إسحاق بعد أن عاش مائة وثمانين سنه ودفن بمغارة فى (جيرون) وهى مدينة الخليل اليوم.

لـوط عليه السلام

هو لوط بن هاران بن تارح بن أخى إبراهيم عليه السلام. وكان إبراهيم عليه السلام يحبه الناس حباً شديداً، وقد هاجر لوط مع إبراهيم من أرض بابل إلى أرض الشام المباركة لقوله تعالى ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

وهى الأرض المقدسة التى بعث الله منها أكثر الأنبياء.

وانتقل إبراهيم وزوجته سارة ومعهم لوط إلى مصر وكان بها فرعون من الفراعنة، فرجعوا إلى أرض الشام فنزل إبراهيم عليه السلام فلسطين وأنزل لوطاً الأردن فبعثه الله تعالى إلى أرض سدوم وما حولها وكان أهلها أهل كفر وفحش وكانوا من المجرمين الفاسدين، وكانوا يقطعون الطريق على الناس، وقد ذهب ماء الحياء من وجوههم، فلا يستقبحون قبيحاً، ولا يرغبون فى حسن كما قال الله تعالى عنهم: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾ [العنكبوت٢٩].

وكما قال تعالى:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١].

وكانوا قد ابتدعوا المنكرات ما لم يسبقهم إليه أحد من الخلق، وذلك أنهم كانوا يأتون الذكور شهوة من دون النساء يعلنون ذلك ولا يستترون، ولا يجدون فى ذلك قبحاً أو سوءًا. واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء.

كان قوم لوط يجلسون على الطريق فيقذفون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذى كانوا يأتونه، وكان لوط عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويدعوهم

إلى عبادة الله تعالى ويتوعدهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة إلى الله ويخوفهم من عذاب الله الأليم، فلم يزجرهم عن ذلك وعده ولم يزدهم وعظه إلا تمادياً وعتواً واستكباراً واستعجالاً بعذاب الله تعالى وإنكاراً وتكذيباً ويقولون له ﴿ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

ولم يجد لوط عليه السلام ملجأ إلا الله فسأل ربه أن ينصره عليهم فقال ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

فاستجاب الله دعاء لوط عليه السلام فبعث الله الملائكة لإهلاكهم وبشارة إبراهيم عليه السلام بإسحاق عليه السلام.

أقبل الملائكة فى هيئة رجال حسان مرد، حتى نزلوا على إبراهيم عليه السلام ضيوفاً، فبشروه بإسحق، ثم أخبروا إبراهيم عليه السلام أن الله تعالى بعثهم لإهلاك قوم لوط.. ناظرهم إبراهيم وحاجهم فى ذلك كما قال تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود: ٧٤]، حيث أشفق إبراهيم على لوط ومن معه من المؤمنين حيث قال ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٢] فقالت له الملائكة ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

وسارت رسل الله تعالى نحو سدوم، فلما وصلوا إليها لقوا لوطاً فى أرض له يعمل فيها، وقد روى أن الله تعالى قال للملائكة: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فأتوه فقالوا له: إنا ضيوف عندك الليلة، فانطلق معهم فلما مشى ساعة التفت وقال: أو ما بلغكم أمر هذه القرية؟

قالوا: وما أمرها؟

قال: أشهد بالله إنها لشر قرية فى الأرض، وما أعلم على وجه الأرض أخبث منها، وقال ذلك أربع مرات. فدخلوا معه منزله. وعلم لوط أنه سيحتاج إلى الدفاع عن ضيوفه وخاف عليهم من قومه وذلك فى قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧].

وقد كان قوم لوط نهوه أن يضيف رجالاً وقالوا له: خَلِّ عنا فلنضيف الرجال وذلك فى قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠].

فجاء لوط بضيوفه إلى منزله ولم يعلم بهم أحد إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت القوم بذلك وقالت: إن فى بيت لوط رجالاً ما رأيت مثلهم جمالاً ولا حسناً قط.

فلما علم قوم لوط بذلك جاءوا يسرعون إليه ويهرولون.

فقال لهم لوط: يا قوم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

وقال لهم: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

قالوا: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠].

وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩].

فلما لم يذعنوا لكلام لوط ونصحه لهم، قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

وقد قال رسول الله ﷺ حين قرأ هذه الآية: «رحم الله أخى لوط لقد كان يأوى إلى ركن شديد».

فلما رأت الملائكة ما حل بلوط من الكرب والهم بسببهم قالوا له:

﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ [هود: ٨١].

فلما علم لوط أن أضيافه رسل من عند الله وأنهم أرسلوا لإهلاك قومه قال لهم : أهلكوهم الساعة.

فقالوا له : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود: ٨١].

ثم أمروه أن يسرى بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد، إلا امرأته فإنه نازل بها العذاب مع بقية القوم الظالمين.

فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ، فذلك قوله تعالى ﴿ إِلَّآ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾ [القمر: ٣٤].

ولما جاء أمر الله بهلاكهم جعل عالى قريتهم سافلها وأمطرها حجارة من (سجيل) أى من طين (منضود) أى متتابع بعضه أثر بعض (مسومة) معلمة عند الله.

فأهلكها بمن فيها ومن حولها من المؤتفكات ونجى الله لوطاً ومن معه من أهله إلا امرأته فإنها هلكت فيمن هلك وذلك قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

إسماعيل عليه السلام

كانت السيدة (سارة) زوجه سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عاقراً لا تلد، وكان ملك مصر قد وهبها جارية مصرية اسمها (هاجر) فوهبتها لسيدنا إبراهيم فتزوجها فولد منها (إسماعيل) عليه السلام.

ولم يحل الحول على السيدة (سارة) وهى بنت تسعين سنة حتى حملت(بإسحاق) عليه السلام.

وقد جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣].

وطلبت السيدة (سارة) من سيدنا إبراهيم أن يبعد عنها السيدة (هاجر) وابنها إسماعيل وأصرت على ذلك. فأوحى الله إلى سيدنا إبراهيم أن يأتى بالسيدة (هاجر) وابنها إسماعيل إلى مكة فذهب بهما حتى قدم مكة. فوضعهما فى بقعة لا نبات ولا ماء ولا أنيس فيها، ورجع إلى فلسطين بعد أن دعا لهما، قال تعالى على لسان إبراهيم ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ولما نفد الماء من هاجر عطشت، وانقطع لبنها، وعطش الصغير (إسماعيل). فنظرت هاجر يميناً وشمالاً ثم صعدت جبل (الصفا) فنظرت من فوقه فلم تر أنيساً أو تسمع صوتاً ثم نزلت وهرولت إلى جبل (المروة) فصعدت ونظرت فلم تر أنيساً ولم تسمع صوتاً. فأرسل الله سبحانه وتعالى ملكاً فضرب الأرض بقدمه ففارت عين من الماء فأسرعت هاجر فجعلت تضع الماء فى شفتها وقامت وشربت وسقت ابنها إسماعيل وهى عين (زمزم) المعروفة إلى الآن.

ومن ساعتها إلى الآن يشرب الحجاج من ماء زمزم ويأخذون جزءاً منه تبركاً به.

ومن ساعتها إلى الآن والحجاج يسعون بين الصفا والمروة سبع مرات فى أداء مناسكهم.

ومرت قافلة من (جرهم) فلما وجدوا الماء ذهبوا إلى هاجر فطلبوا منها أن ينزلوا معها ويقيموا فى هذا الوادى فأذنت لهم.

وتزوج إسماعيل عليه السلام امرأة من قبيلة (جرهم) ورزق إسماعيل عليه السلام اثنى عشر ولداً وكانوا رؤساء قبائل وسميت (بالعرب المستعربة).

ولما أمر الله إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة سار من الشام إلى مكة وقدم على إبنه اسماعيل وقال له: يا إسماعيل إن الله تعالى قد أمرنى أن أبنى له بيتاً.

فقال له إسماعيل: فأطع ربك فيما أمرك به.

فقال له إبراهيم: وقد أمرك أن تعيننى عليه.

فأجابه إسماعيل: سمعًا وطاعة.

فقاما ببناء الكعبة وكان إبراهيم عليه السلام يبنى وإسماعيل يحمل الحجارة ويناولها لوالده.

قال تعالى ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وعهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل تطهير هذا البيت من عبادة الأصنام للطائفين الذين يأتون إليه ويطوفون به سواء كانوا غرباء أو من أهله. وللعاكفين الملازمين له والركع السجود وذلك فى قوله تعالى:

﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

[البقرة: ١٢٥].

رأى سيدنا إبراهيم فى منامه أن يقوم بذبح ابنه إسماعيل ليقدمه قرباناً إلى الله. ولما كان منام الأنبياء وحى من الله، فهو صدق وحق فعرض الأمر على ابنه إسماعيل فتقبله بالرضا وقال لأبيه:

يأبت افعل ما أمرك الله به، ستجدنى إن شاء الله مطيعاً لربى وستجدنى صابراً.

وذلك فى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

فلما ألقى إبراهيم ولده إسماعيل على وجهه ليذبحه نودى من قبل السماء أنك قد صدقت الرؤيا بالحق فكف عن ذبح ولدك، والتفت فوجد كبشاً كبيراً فأخذه وذبحه بدلاً من ابنه إسماعيل.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٧].

وكان اسماعيل عليه السلام صادقاً ووفياً لا يخلف وعده.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾

[مريم: ٥٤].

وقد أرسل الله تعالى إسماعيل عليه السلام إلى قبائل اليمن وإلى العماليق ليدعوهم إلى وحدانية الله.

وقيل إن إسماعيل عليه السلام عاش مائة وسبعاً وثلاثين سنة. وقيل: إنه مات بفلسطين ولكن مؤرخوا العرب قالوا: إنه مات بمكة عليه السلام.

شعيب عليه السلام

قيل : أن شعيباً من ولد مدين بن إبراهيم، وقيل أنه لم يكن من ولد إبراهيم، إنما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى الشام، ولكنه ابن بنت لوط.

وقد أرسله الله تعالى إلى أهل مدين وكانوا أهل كفر بالله، وسوء معاملة للناس، يبخسون الناس أشياءهم فى المكاييل والموازين.

وكان الله قد وسع عليهم فى الرزق وبسط لهم فى العيش فقال لهم شعيب : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فهو الذى خلقكم وهو الذى ينفعكم ويضركم فلا تنقصوا الكيل والميزان ولا تظلموا الناس حقوقهم ولا تفسدوا فى الأرض فإن ذلك ضر لكم فى دنياكم وأخراكم وذلك فى قول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٤].

وكانوا يقطعون الطريق على من يريد الإيمان ويخوفون الناس ويقولون أن شعيباً كذاب.

فنهاهم شعيب عن ذلك وقال لهم : لا تقعدوا بكل صراط توعدون، وتردون عن طريق الله من آمن بالله وصدق به ووحده.

وكان يذكرهم بنعمة الله عليهم حيث كانوا قلة فى العدد فكثر الله عددهم ورفعهم من الذلة والخسة، ودعاهم إلى شكر الله الذى أنعم عليهم بذلك والإخلاص له فى العبادة وأخبرهم بما وقع على من كان قبلهم من العذاب حين كذبوا بربهم وعصوا رسله، فقد أهلك بعضهم

بالطوفان وبعضهم رجماً بالحجارة وبعضهم بالصيحة والصواعق المحرقة .

وقد قال الحق سبحانه وتعالى فى ذلك : ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف : ٨٦] .

وقد آمنت طائفة منهم وكفرت طائفة .

قال تعالى : ﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف : ٨٧] .

ولما استمر شعيب عليه السلام فى دعوة أهل مدين قالوا له متهكمين عليه :

أصلاتك تأمرك أن نترك ما كان يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام وألا نتصرف فى أموالنا كيف نشاء وبخس الناس فى الكيل والميزان؟

إنك لأنت الحليم الرشيد الذى لا يحمله الغضب على أن يفعل ما لم يكن ليفعله فى حالة الرضا .

فقال لهم شعيب : أنا لا أريد إلا إصلاحكم وصلاح أمركم ما استطعت حسب قدرتى حتى لا يقع عليكم عذاب من الله شديد وأسأل الله أن يوفقنى فى ذلك وقد فوضت أمرى إليه .

وأخذ شعيب ينصح قومه ويطلب منهم ويدعوهم إلى الاستغفار والتوبة إلى الله فإنه رحيم بعباده محب لهم .

فقالوا له : يا شعيب إنا لا نفقه ولا نفهم كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا أن عشيرتك عزيزة علينا لرجمناك وقتلناك ، فأنت لست علينا بعظيم .

قال تعالى : ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا

رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود: ٩١].

فقال لهم شعيب: يا قوم اعملوا ما تستطيعون عمله ضدى، فإنى عامل على الثبات ومصمم على ما أدعوكم إليه من الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان وحسن معاملة الناس وعدم أكل أموالهم بالباطل.

يا قوم إنكم سوف تعلمون أينا الجانى على نفسه والمسىء إليها، وأينا المحسن لنفسه والمصيب فى فعله، ومن منا الذى سوف يأتيه عذاب من الله يخزيه ويهينه، ومن منا الكاذب.

فانتظروا العذاب وأنا معكم من المنتظرين.

وكان شعيب عليه السلام بليغ فى دعوته وخطابته حتى أن رسول الله ﷺ قال عنه: «ذلك خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته قومه فيما يراد بهم».

فقال قومه له: لنخرجنك يا شعيب أنت ومن اتبعك وصدقك وآمن بك من قريتنا أو لترجعن أنت وهم فى ديننا وما نحن عليه.

فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والطرد من بلادهم أخذتهم (الرجفة) الزلزلة المحركة لعذاب الله فأصبحوا فى دارهم (جاثمين) أى راكعين على ركبهم وأهلكهم الله وآباءهم، فصارت قريتهم خاوية منهم كأنهم لم يسكنوا فيها أو يعيشوا فيها وكانوا من الهالكين الخاسرين.

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٩١، ٩٢].

أما شعيب فقد نجاه الله والذين آمنوا معه برحمته.

يـــوسـف عليه السلام

قال الله تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] وقد سمى الله قصة يوسف هذه أحسن القصص لأنه ليست قصة فى القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف مثل ما تضمنت هذه القصة.

وهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وكان يوسف جميل الصورة، حسن الوجه، طيب الطباع والأخلاق. وكان له أحد عشر أخاً كلهم من الذكور.

ولكن يوسف كان أحبهم وأقربهم لأبيه؛ مما أدى إلى حقدهم عليه وغيرتهم منه مما دفعهم إلى تدبير خطة للتخلص منه. وفى يوم من الأيام استيقظ يوسف من نومه فزعاً وأسرع إلى أبيه.

فقال: يا أبى لقد رأيت فى منامى هذه الليلة أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين لى.

فقال له يعقوب: يا بنى لا تقص هذه الرؤيا على إخوتك خشية أن يزدادوا حقداً عليك.

وانتهى إخوة يوسف من تخطيط مؤامرة للتخلص من يوسف.

ثم ذهبوا إلى أبيهم وقالوا له: يا أبانا إنا نريد أن نأخذ يوسف معنا غداً فى رحلة الصيد.

اتركه معنا كى يلعب ويتسلى وسوف نحافظ عليه.

فقال لهم أبوهم: أنى أخاف أن تغفلوا عنه فيأكله الذئب.

فقالوا له: كيف يأكله الذئب ونحن جماعة قوية. فأذهب الخوف عن نفسك فسوف نحافظ عليه ونرعاه.

وبعد هذا الحوار والنقاش وافق يعقوب على إرسال يوسف مع باقى إخوته .

وقد كان إخوة يوسف قد اتفقوا فيما بينهم على أن يتخلصوا من يوسف بإلقائه فى بئر من الآبار .

وفعلاً نفذوا خطتهم وألقوا يوسف فى البئر .

ثم عادوا فى المساء ودخلوا على أبيهم وهم يبكون ويتظاهرون بالحزن

فقال لهم يعقوب : أين أخوكم يوسف؟

فقالوا : لقد ذهبنا للصيد، كما نفعل، وتركناه عند أمتعتنا وحاجاتنا فغافلنا الذئب وأكله .

وقد أخذوا قميصه ووضعوا عليه دماء طائر قد ذبحوه لكى يحبكوا قصتهم .

ولما كان يوسف فى ذلك البئر مرت قافلة من القوافل فأرسلوا أحدهم لكى يحضر لهم ماءً من ذلك البئر . فأنزل الرجل الدلو إلى البئر لكى يخرج الماء .

فتعلق يوسف فى الدلو وخرج من البئر فتعجب الرجل من هذا المنظر وعاد إلى القافلة .

وقال : انظروا ، ما أجمل هذا الغلام وما أحسنه .

وأرادت القافلة أن تستفيد بهذا الغلام الجميل فقرروا أن يبيعوه فى سوق بمصر . .

ولما عرضوه للبيع اشتراه رئيس الشرطة، وأخذه وعاد إلى بيته .

وقال لزوجته : لقد أحضرت لك هدية عظيمة ، انظرى إلى هذا

الغلام ما أحسنه وما أجمله، أكرمى هذا الولد لعله ينفعنا أو نتخذه ولداً.

وكان يوسف عند حسن ظن صاحبه فقد كان أميناً ورعاً صادقاً كريماً.

وكبر يوسف وعاش عيشة طيبة فى بيت رئيس الشرطة وكان بمثابة ابن له.

كان يوسف جميلاً جذابًا وكان لوجهه نور وضّاء.

وهنا بدأت زوجة رئيس الشرطة تميل إليه وتتقرب بكافة الوسائل.. وكان يوسف يبتعد عنها ولا يوافقها على هواها.

دخل الغيظ قلب المرأة من يوسف فذهبت إلى زوجها وكادت ليوسف حتى أوقعت بينه وبين زوجها.

فدخل يوسف السجن ظلماً وعدواناً دون أى جريمة ارتكبها.

وعندما كان يوسف فى السجن دخل معه رجلان: أحدهما رئيس الخبازين فى قصر الملك، والآخر رئيس السقاة. ولما جلسوا مع يوسف وتكلموا معه وجدوا فيه الإيمان والإخلاص والصدق وكل الصفات الحميدة.

وكان يوسف يدعوهم إلى عبادة الله وحده وَترك عبادة الأصنام والأوثان التى لا تنفع ولا تضر..

وقال رئيس الخبازين ليوسف: لقد رأيت فى المنام أنى أحمل سلالاً من الخبز فوق رأسى والطير تأكل من هذه السلال. وقال رئيس السقاة: وأنا رأيت أننى أعصر العنب وأعمل منه الخمر.

يا يوسف: فسر لنا هذه الأحلام إنا نراك من المحسنين.

فقال يوسف للخباز: إنك سوف تصلب وتأكل الطير من رأسك.

وقال للساقى : إنك سوف يعفو الملك عنك وتخرج من السجن .

وقد تحقق بالفعل تفسير يوسف فقتل الخباز ، وخرج الساقى من السجن .

وفى يوم من الأيام استيقظ الملك من نومه واستدعى كل السحرة والكهنة والعرافين الموجودين فى القصر وقال : لقد أحضرتكم لأمر هام وخطير .

فقالوا له : وما هو ذلك الأمر العظيم الذى جعلك تستدعينا فى هذه الساعة المبكرة من النهار .

فقال الملك : لقد رأيت فى منامى سبع بقرات سمان وظهرت لهن سبع بقرات عجاف فأكلن السبَع السمانَ ، ورأيت أيضاً سبع سنبلات خضر وسبعاً أخرى يابسات . .

وقال : أيها الملأ إنى أريد أن أعرف تفسيراً لهذا .

فقالوا : إنها تخاريف وأضغاث أحلام .

وكان ساقى الملك موجوداً أثناء هذه الجلسة . فقال للملك سأدلك على رجل يفسر لك هذه الأحلام .

ثم ذهبوا إلى يوسف فى السجن ليفسر لهم ما شهده الملك . فقال لهم : سيأتى على مصر سبع سنوات من الخير والخصوبة تكثر فيها الخيرات وتفيض الغلات . ثم يأتى بعد ذلك سبع سنوات من القحط والجدبِ ، ثم تعود بعد ذلك سنوات من الخصوبة والخيرات .

لما سمع الملك بهذا التفسير العظيم أمر بإخراج يوسف من السجن .

وانتهز يوسف هذه الفرصة وطلب من الملك أن يثبت براءته من التهمة

الباطلة التى دخل بسببها السجن.

واعترفت زوجة رئيس الشرطة بأنها هى التى تسببت فى دخول يوسف السجن.

خرج يوسف من السجن. وقربه الملك إليه، وعينه وزيراً له، وجعله مسئولاً عن خزائن مصر.

استغل يوسف تلك السنين الخصبة كثيرة الغلة، وأخذ يدخر منها لتلك السنين القحط التى ستمر بها البلاد.

ولما حلت سنوات المجاعة والجدب، توافد الناس من كل ناحية ومن كل بلد إلى مصر لكى يحصلوا على الطعام اللازم لهم.

أرسل يعقوب عليه السلام أبناءه إلى مصر لكى يشتروا الطعام.

فلما دخلوا على يوسف عرفهم ولكنهم لم يعرفوه.

فقال لهم: لن أبيع لكم شيئاً حتى تأتونى بأخيكم الموجود فى مصر.

وكان هذا الأخ هو بنيامين الأخ الشقيق ليوسف.

فرجع إخوة يوسف إلى مصر ودخلوا على أبيهم.

وقالوا: يا أبانا لقد منع منا الكيل، فأرسل معنا بنيامين لكى نستطيع أن نحصل على الطعام.

فقال يعقوب: «كيف آمنكم عليه وقد فرطتم فى يوسف من قبل» وأخيراً أرسله معهم إلى مصر.

ولما دخلوا على يوسف مرة أخرى قرب أخاه إليه وضمه إلى صدره.

وكان يوسف يريد أن يستبقى أخاه عنده. فبعد أن أعطاهم الطعام وجهزهم بجهازهم، جعل المكيال الذى يكيلون به ـ وكان من الذهب

الخالص ـ جعله فى متاع أخيه بنيامين .

ولما هموا بالخروج نادى الحراس : إنكم لسارقون .

ففزع إخوة يوسف وقالوا : ماذا فقدتم؟

قالوا : فقدنا صواع الملك .

فقال إخوة يوسف : لسنا بسارقين ، لقد أتينا لنشترى الطعام .

فقال يوسف : فما حكمكم فيمن نجد الصواع فى رحله؟

قالوا : افعلوا فيه ما تفعلون فى مثله .

قال يوسف : إن القانون عندنا يقضى بأن نبقيه عبداً عندنا .

فلما فتشوهم وأخرجوا الصواع من رحل أخيه بنيامين . قال لهم يوسف : لقد حكمتم عليه بأنفسكم من قبل .

فقالوا ليوسف : نرجوك أن تأخذ أى أحد منا بدلاً منه ، إن أبانا شيخ كبير ولن يتحمل تلك الصدمة .

فقال يوسف : لن نظلم أحداً ولن نأخذ إلا من وجدنا الصواع عنده .

وعاد إخوة يوسف إلى أبيهم وقصوا عليه القصة كاملة وقالوا له اسأل الناس الذين كانوا معنا لكى تصدق ما نقول .

ولكن يعقوب قال لهم : لقد فعلتم فيه ما فعلتم بأخيه من قبل .

وظل يعقوب يبكى من الحزن على بنيامين ، وتذكر يوسف مرة أخرى حيت فَقَدَ بصرَه .

رجع إخوة يوسف إلى مصر مرة أخرى ودخلوا على أخيهم يوسف وطلبوا منه أن يطلق سراح أخيهم بنيامين وأن يزيد لهم فى الكيل .

وهنا كلمهم يوسف وأخبرهم عما فعلوه من قبل به وبأخيه.

وهكذا علموا أنه هو يوسف.

وقالوا: أإنك لأنت يوسف؟!!.

قال: أنا يوسف وهذا أخي.

ظهر الخجل والندم والحسرة على وجوههم وظنوا أن يوسف سوف ينتقم منهم.

ولكن يوسف عفا عنهم وقال لهم: ارجعوا إلى أبيكم. ثم أعطاهم قميصه وقال لهم: ألقوه على وجه أبي فسيعود إليه بصره مرة أخرى. وقال لهم: أحضروه وهو وأمي إليَّ مرة أخرى.

لما اقترب إخوة يوسف من أبيهم قال: إني لأجد رائحة يوسف.

ولما ألقوا القميص على وجهه ارتد بصيراً.

وذهب يعقوب عليه السلام وآله أجمعين إلى مصر.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]، ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً.

وكان ذلك السجود سجود تكريم وتحية.

وتحققت الرؤيا التي قصها يوسف على أبيه من قبل. وجاء يوسف يشكر الله تعالى فقال:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

موسى عليه السلام

هو موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وكانت أمه تدعى «يوكابد» من بنى إسرائيل. وكان يحكم مصر حينذاك جبار من الجبابرة اسمه «فرعون».

كان فرعون كافراً بالله وكان يدعى الألوهية ويأمر الناس بعبادته والسجود له.

رأى فرعون فى منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى أتت على بيوت مصر فأحرقتها وتركت بنى إسرائيل.

استقيظ فرعون من منامه فزعاً، فدعا الكهنة والسحرة والمنجمين. وسألهم عن تفسير لما رآه.

فقالوا له: سيولد فى بنى إسرائيل غلام ليسلبك الملك ويقهرك ويبدل دينك. وقد حان الوقت الذى سيولد فيه هذا الغلام.

جمع فرعون القوابل من النساء وقال لهن: لا يسقط على أيديكم غلام من بنى إسرائيل إلا قتلتوه ولا جارية إلا تركتموها.

وأثناء هذه الحملة الضارية ولد موسى عليه السلام.

وفزعت أمه فزعاً شديداً حينما ولدته.

وخافت عليه من فروعون وجنوده وكانت تخفيه عن أعين الناس.

وجاء أمر الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧].

اتخذت أم موسى له صندوقاً وجعلت مفتاح الصندوق من داخله.

وكان الذى صنع ذلك الصندوق رجلاً يقال له «حزقيل» هو مؤمن من آل فرعون وجعله من ورق البردى.

أخذت أم موسى الصندوق ووضعت فيه قطناً محلوجاً ووضعت فيه موسى وربطت رأسه ثم ألقته فى النيل.

انطلق الماء بموسى عليه السلام يرفعه تارة ويخفضه تارة حتى أدخله بين الأشجار عند دار فرعون.

كان بالقرب من هذه الروضة مكان يغتسل فيه جوارى فرعون فلما وجدن التابوت أخذنه وذهبن به إلى آسية زوجة فرعون، فلما فتحته وجدت فيه الغلام، فألقى الله تعالى عليها محبة منه. فرحمته آسية وأحبته حباً شديداً.

كانت آسية تختلف فى طباعها وسلوكها عن فرعون، فكانت امرأة مؤمنة رحيمة رقيقة القلب.

ضمت آسية موسى إلى صدرها وبكت من الفرحة والدهشة. ولما سمع فرعون بهذا الخبر أقبل مسرعاً ناحية الصندوق ونظر إلى موسى وقال:

مَنْ هذا الغلام؟

قالت آسية: لقد وجدناه فى هذا الصندوق، فقد جرفته المياه إلينا.

قال فرعون: يجب أن نقتل هذا الغلام لقد أمرت ألا يبقى ولد من بنى إسرائيل على قيد الحياة.

وصاحت آسية فى وجه فرعون قالت:

قرة عين لى ولك عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً.

لما رأى فرعون تمسك زوجته بهذا الطفل. وكانت آسية لا تنجب أطفالاً قال لها: حسناً، لن نقتل هذا الطفل وسوف نربيه فى القصر بين أعيننا.

فرحت آسية فرحاً شديداً ولم تصدق نفسها فهى تعلم طباع فرعون وقسوته وجبروته، فحمدت الله وضمت موسى إلى صدرها وأسرعت به داخل القصر.

كان موسى يبكى بكاءً شديداً.. لقد كان الطفل جائعاً.. فقالت آسية لفرعون: إن الطفل الصغير جائع ونريد أن نحضر له طعاماً.

فقال فرعون لرجاله: أسرعوا وأحضروا له مرضعة ترضعه. جاءت المرضعة على الفور ولكن موسى رفض أن يرضع منها. وحضرت مرضعة ثانية وثالثة ولكن موسى يرفض أن يرضع من إحداهن.

انتابت الحيرة أهل فرعون. وكانت زوجة فرعون فى حزن شديد وكانت تتألم لبكاء الطفل المسكين.

وأثناء ذلك كانت أم موسى لا تعلم ماذا حدث لابنها فى قصر فوعون وكانت الأفكار تراودها بين الحين والحين وتحدث نفسها: هل أذهب إلى القصر وأخبرهم بالحقيقة؟

ولكن الله سبحانه وتعالى ألهمها الصبر وثبّت قلبها وهداها إلى فكرة حكيمة سديدة.

فقالت لأخته: اذهبى إلى قصر فرعون ولا تجعلى أحداً يشعر بك أو يعلم بوجودك.. اعرفى ماذا حدث لموسى.

فعلت أخت موسى ما أمرتها به أمها وعلمت كل ما حدث مع موسى.. وسمعتهم يتحدثون عن أمر المراضع.. ورفض موسى أن

يرضع من أى واحدة منهن .

وهنا انتهزت أخته هذه الفرصة العظيمة .

فقالت لأهل فرعون : هل أدلكم على من يكفله؟

هل أدلكم على امرأة طيبة ترضعه لكم؟

فقال لها أهل فرعون : أين كنت من قبل . أسرعى وأحضرى لنا تلك المرأة التى تتحدثين عنها : وسوف نعطيها ما تطلب .

وحضرت أم موسى فى التو واللحظة .

قالت لها زوجة فرعون : سنجعله معك حتى ترضعيه وتنتهى مدة رضاعته . ثم رديه إلينا مرة أخرى .

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه : ٤٠] .

لما انتهت أم موسى من رضاعته ردته مرة أخرى إلى قصر فرعون وتربى موسى تربية الملوك والأمراء والأعيان .

لقد سخّر له فرعون كل وسائل التعليم والترفيه . وكانت حكمة الله أن ينشأ موسى ويتربى فى كنف ألد أعدائه وأعداء الله .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف : ٢٢] .

نشأ موسى فى بيت فرعون وكان شديد البأس وافر القوة ، وكان يعلم أنه ليس ابناً لفرعون ، كان يشاهد اضطهاد رجال فرعون لبنى إسرائيل .

خرج موسى يوماً على حين غفلة من أهل المدينة فوجد رجلاً من آل فرعون يتقاتل مع رجل من بنى إسرائيل فلما شاهد الرجل الذى من بنى إسرائيل موسى ناداه واستغاث به فجاء موسى ووكز الرجل الذى هو من

آل فرعون بيده فقتله . . وكان ذلك عن غير قصد من موسى .

فأسرع موسى ودفن الرجل فى التراب ولم يعلم بذلك الأمر سوى الرجل العبرانى الذى نصره موسى .

وندم موسى على ما فعل .

وقال فى نفسه : إن ما فعلته هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . ثم دعا ربه وقال : رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ؛ فتقبل الله منه وغفر له .

وفى اليوم الثانى خرج موسى وهو خائف يترقب من افتضاح أمره . .

وبينما هو كذلك . . وجد الرجل نفسه الذى استغاثه بالأمس يدعوه لينصره مرة أخرى وقد كان يتقاتل مع رجل فرعونى فلما اقترب موسى لكى ينصره على ذلك الفرعونى اعتقد الرجل الإسرائيلى أن موسى سوف يقتله هو .

فقال له أمام الرجل الآخر : أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس فأعرض عنه موسى ، وأسرع الرجل الفرعونى وأخبر فرعون بأن موسى هو الذى قتل الرجل بالأمس ، فغضب فرعون غضباً شديداً وأمر بقتل موسى .

وجاء رجل مؤمن صالح من أقصى المدينة مهرولاً لكى يلحق بموسى ويخبره بما دبره له فرعون وجنوده . ونصحه ذلك الرجل بأن ينجو بنفسه ويفارق بلاد مصر .

وقال له : إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين .

فخرج منها يترقب قال : رب نجنى من القوم الظالمين .

خرج موسى عليه السلام من مصر يتلفت خشية أن يلحقه رجال فرعون. وقال: عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل.

سار موسى فى الصحراء بلا زاد ولا رحال ولا دابة تحمله. كان يأكل أوراق الأشجار. حتى وصل إلى «مدين» بعد ثمان ليال، ووجد شجرة فجلس فى ظلها وقد أنهكه الجوع والعطش.

كان بجوار هذه الشجرة بئر يأتى إليه الرعاة يسقون أغنامهم ويأخذون معهم ما يحتاجون من الماء وبينما كان موسى يجلس تحت ظل الشجرة لكى يستريح من مشقة السير وطول العناء، شاهد فتاتين تحاولان أن تسقيا أغنامهما من البئر ولكنهما لا تستطيعان ذلك حتى ينتهى الرجال من سقى أغنامهم

فكانتا تهشان على أغنامهما حتى لا تزاحما الرجال فقام موسى وذهب إليهما.

وقال لهما: ما خطبكما؟

فقالتا له: إن أبانا شيخ كبير وليس عنده من الأولاد من يقوم برعى هذه الأغنام. ونقوم نحن بهذه المسألة ولكننا لا نريد أن نزاحم الرجال.

فقال لهما: سأسقى لكما.

ذهب موسى نحو البئر.. وكانت هناك صخرة عظيمة موضوعة على فم البئر.. وكان موسى قوياً فتياً فرفع الصخرة بكلتا يديه وكانت هذه الصخرة لا يستطيع أن يرفعها أقل من عشرة رجال.

وسقى موسى لهما الغنم ثم عاد مرة أخرى إلى ظل الشجرة. ثم قال ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

عادت الفتاتان إلى أبيهما على غير موعدهما .

فقال لهما أبوهما : لقد عدتما مبكرتين اليوم فما السبب فى ذلك؟

فقالت له إحداهما : لقد قابلَنا اليوم رجلٌ شهم كريم فسقى لنا أغنامنا .

ففرح الأب بهذا الصنيع الجميل .

وقال لإحدى ابنتيه : اذهبى إلى هذا الرجل وقولى له إن أبى يريد منك أن تأتى ليجزيك أجر ما سقيت لنا .

وأسرعت الفتاة إلى موسى وأخبرته بمقالة أبيها ، فنهض موسى وذهب معها . وبينما هما فى الطريق قال لها : سأسير أمامك وتكونين من خلفى ، وذلك تأدباً منه واستحياء . وذلك لأن الهواء كان يهب فيرفع ثوبها . فخشى موسى أن تقع عينه على ثنايا جسدها .

ذهب موسى إلى الشيخ الكبير ؛ فأحسن الشيخ ضيافته وسأله عن حاله وعن بلده وإلى أين هو ذاهب ، فقص عليه موسى قصته مع فرعون وآله .

فقال له الشيخ : لا تخف نجوت من القوم الظالمين .

فإنهم لن يصلوا إليك فى هذا المكان .

ثم قالت ابنة الشيخ لأبيها :

يا أبت استأجره أن خير من استأجرت القوى الأمين . وأخبرت أباها عن قوته فى رفع الصخرة عن البئر ومزاحمة الرجال .

فقال لها أبوها : وكيف عرفت أنه أمين؟

فقالت : لقد طلب أن يسير أمامى ورفض أن يسير خلفى وكان

يكلمنى ولا ينظر إلىَّ.

تحول الشيخ إلى موسى وقال له: إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى على أن تعمل عندى ثمانى سنوات، ولا أريد أن أشق عليك، أو أحملك فوق طاقتك.

رحب موسى بما عرض عليه الشيخ وأصبح صهراً له وراعياً لأغنامه.

وظل موسى يعمل عند الشيخ حتى قضى الأجل الذى اتفق عليه.

اشتاق موسى لأهله فى مصر أشد الشوق.

وجاء يوم الرحيل: فقال لزوجته: سنعود غداً إلى مصر.

وكان الحق سبحانه وتعالى يدبر الأمور بحكمته وعلمه وكل شىء عنده بمقدار.

وبينما كان موسى وأهله فى الطريق إلى مصر أقبل عليهما الليل. وكانت ليلة مظلمة لا قمر فيها ولا نجم يضى.

وتاه موسى وضل الطريق. وحاول أن يشعل ناراً لأهله ليهتدوا بها ولكن دون جدوى. فقد كانت الرياح قوية.

رفع موسى رأسه حائراً، وبينما هو كذلك رأى من على بعد ناراً مضيئة.

فقال لأهله: ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [طه: ١٠].

وأسرع موسى مهرولاً تجاه تلك النار لعله يأتى بجزء منها لكى يستدفئوا بها أو يجد أحداً عند النار يسأله عن الطريق.

ظل موسى يمشى حتى وصل إلى مكان يسمى «طوى» واقترب

موسى من النار، فإذا بالنار تشتعل فى شجرة خضراء لا تيبس ولا يتغير لونها برغم اشتعال النار بها، وكلما اشتدت النار اشتد اخضرار الشجرة.

قال موسى فى نفسه: ما هذا الذى أرى؟

شجرة خضراء لا تحترق ولا تتفحم من فعل النار؟

وبينما هو فى هذه الحالة سمع صوتاً غريباً يناديه:

يا موسى ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٢، ١٤].

ارتعد موسى من هول المفاجأة ومن عجب ما يرى. وكان لا يصدق ما يرى.

وإذ بالحق سبحنه وتعالى يخاطب موسى عليه السلام:

- ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾؟ [طه: ١٧].

فهدأ موسى بعض الشيء وقال: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨].

فقال عز وجل:

- ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ﴾[طه: ١٩] فألقى موسى عليه السلام العصا من يده. وإذا العصا تتحول إلى حية عظيمة ضخمة. وهنا ازداد خوف موسى وتحول لظهره ليولى هرباً.

فناداه ﴿لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠].

ثم قال الحق لموسى مرة أخرى:

﴿خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١].

وعندما مد موسى يده إلى الحية ليلتقطها فإذا هى تتحول إلى عصا مرة أخرى.

وقال سبحانه وتعالى مخاطباً موسى: اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء، من غير سوء.

فلما وضع موسى يده فى جيبه وأخرجها فإذا هى تتلألأ نوراً.

أصدر الله بعد ذلك أمراً إلى موسى بأن يذهب إلى فرعون ليدعوه إلى عبادة الله وحده وذلك بالموعظة الحسنة واللطف.

﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٢٤].

وهنا طلب موسى من ربه أن يرسل معه أخاه هارون كى يشد من أزره ويشاركه فى هذه المسألة الخطيرة. وقد تذكر موسى قصة القبطى الذى قتله وفر بعدها من مصر.

قال موسى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٥: ٣٥].

فاستجاب له ربه وأرسل معه أخاه هاون.

وذهبا إلى فرعون لتبليغ رسالة ربهما.

قال موسى لفرعون: إنى رسول من رب العالمين. حقيق علىَّ أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى إسرائيل.

فقال فرعون ساخراً: إنك أنت موسى الذى تربى فى بيتنا، ألست

أنت قاتل الرجل القبطى .

قال موسى : نعم أنا هو الشخص الذى تتكلم عنه وأنا رسول رب العالمين .

قال فرعون : ومن رب العالمين هذا؟

قال موسى : رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين .

فضحك فرعون وقال للملأ من حوله : إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون .

فقال موسى : رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون .

فقال فرعون غاضباً : لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين .

أراد فرعون بهذه المقالة أن يخيف موسى ويهدده ويجعله يرجع عن دعوته .

فقال موسى لفرعون : ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء : ٣٠] .

قال فرعون : أرنا معجزتك إن كنت من الصادقين .

فألقى موسى عصاه التى فى يده فتحولت إلى ثعبان كبير ضخم .

ونظر الجميع فى ذهول ودهشة مما يشاهدون ، ثم أدخل موسى يده فى جيبه وأخرجها فإذا هى بيضاء كالقمر فاصفر وجه فرعون من الفزع والخوف .

ولاحظ رجال فرعون ما حدث لفرعون من دهشة وفزع فقالوا : نفاقاً لفرعون : ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف : ١٠٩ , ١١٠] .

فقال فرعون لقومه: ما رأيكم فيما ترون. إن هذا الرجل يكذبنى ويريد أن ينزع منى الملك والألوهية.

وقال لهامان وزيره: أريد أن تبنى لى سلماً أصعد فيه إلى السماء لكى أبحث عن إله موسى الذى يتحدث عنه.

فقال له هامان: لا تؤرق نفسك يا مولاى ولا تحزن من هذا الموضوع، إنه لا إله غيرك. وإن موسى لكاذب فيما يقول.

ثم تكلم كبار قوم فرعون وذوو الرأى والمشورة وقالوا: سنرجىء موسى وأخاه، ونرسل أمراً فى مصر ليحضر جميع السحرة حتى إذا حضروا وقفوا أمام موسى وقهروه وأبطلوا سحره، حتى يظهر أمره أمام الناس.

وتم نشر الخبر فى جميع أنحاء المدينة على أن يتجه جميع السحرة إلى قصر فرعون.

وحضر السحرة من كل مكان يطمعون فى الأجر والعطاء وإرضاء فرعون، وذلك بعد هزيمة موسى أمام الناس.

وتم الاتفاق على أن يكون لقاء موسى بالسحرة يوم الزينة وهو يوم عيد عندهم يجتمع فيه الناس بالآلاف من أول النهار.

وانقسم الناس إلى فريقين: فريق الأقباط وهم يتمنون أن ينتصر السحرة على موسى وأخيه هارون.

والفريق الآخر هم بنو إسرائيل وكانوا يتمنون أن ينتصر موسى وهارون على فرعون وقومه.

وجاء السحرة فى ثيابهم الملونة الزاهية.

وأقبل عليهم فرعون يحدثهم :

لقد ظهر رجل يدعّى أنه رسول من عند الله ، وفى حقيقة الأمر إن هذا الرجل ساحر عالم بفنون السحر ، ولكن أنا أثق فى مقدرتكم وأنكم سوف تنتصرون عليه .

فقال السحرة لفرعون : وما طبيعة سحره؟

قال فرعون : إنه يلقى عصاه فتتحول إلى ثعبان كبير ، وينزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين .

قال السحرة : اطمئن يا ملك الملوك سوف ننتصر عليه ونهزمه شر هزيمة وسنرده خائباً هو وأخاه .

قال فرعون : هذا ما أرجوه ولا أشك فى حقيقته .

فقال السحرة : وماذا أعددت لنا من مكافآت وعطايا إذا انتصرنا على موسى وهارون؟ .

قال فرعون : ستفوزون برضائى وستكونون من المقربين .

وجاء اليوم الموعود ، يوم الزينة .

وحضر فرعون فى موكب عظيم .

قال السحرة لموسى :

إمّا أن تلقى أو نكون أول من ألقى .

قال موسى : بل ألقوا .

فألقى السحرة بعصيهم وحبالهم . وقالوا : ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء : ٤٤] ، فامتلأ المكان بالثعابين .

وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم . .

ودهش الناس مسحورين بما ظهر لهم .

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام : ﴿ لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ﴾ [طه : ٦٨] وذلك لأن موسى قد دب الخوف فى نفسه لأن المشهد كان أمام الآلاف من الناس .

موقف يسترهب أى إنسان .

ولكن الحق سبحانه وتعالى تدارك نبيه . وأوحى إليه بأن يثبت ويطرد الخوف من نفسه .

ثم قال له الله تعالى ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه : ٦٩] .

واطمأن موسى بعد هذا الكلام وتثبت واشتد أزره وفعل موسى ما أمره به ربه . وألقى عصاه ، وما أن وصلت العصا إلى الأرض حتى تحولت إلى ثعبان عظيم جبار راح يصول ويجول ويبتلع الثعابين الأخرى .

وبعد لحظات اختفت كل حبال السحرة وعصيهم .

تحرك الثعبان العظيم ناحية موسى ومد موسى يده والتقطه فتحول مرة أخرى إلى عصا . .

وهنا أدرك السحرة أن المسألة ليست سحراً ولا كهانة . إن هذه معجزة من عند الله ولا يقدر عليها إلا إله جبار وخر السحرة سجداً .

وقالوا أمام فرعون وملأه : آمنا برب موسى وهارون .

وبهت فرعون وصعق من هول ما رأى وما سمع . . ولم يصدق نفسه

وما يدور حوله .

وقال محدثًا نفسه : لقد أحضرت هؤلاء السحرة لكى يهزموا موسى وأخيه ويفضحوهما أمام الناس : فإذا بهم أول من آمن به ! !

وصاح غاضباً ﴿ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ ؟ [طه : ٧١] .

إنه لكبيركم الذى علمكم السحر .

ثم قال مهدداً ومتوعداً : ﴿ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٤] .

فقال السحرة غير مبالين بتهديد فرعون :

افعل ما أنت فاعل . . لن نؤثرك على ما جاءنا من الحق من عند ربنا . . لقد آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا .

إنك إن عذبتنا أو قتلتنا فإنها الحياة الدنيا الفانية . إننا نطمع فيما هو باق عند الله سبحانه وتعالى . . إننا نطمع فى مغفرة الله ودخول الجنة إن شاء الله .

وقتل فرعون السحرة جميعاً .

وعاد إلى قصره مهموماً محزوناً ، وأوحى الله تعالى بعد ذلك إلى موسى بأن يسرى ببنى إسرائيل ليلاً ويخرج بهم من مصر إلى الشام . وسار موسى منفذاً لأوامر ربه . واتجه ناحية البحر .

علم فرعون بخروج موسى مع بنى إسرائيل فأمر جنوده ليحتشدوا فى جيش كبير لملاحقة موسى ومن معه .

وخرج فرعون على رأس ذلك الجيش العظيم يريد أن يتخلص من موسى ومن معه . ووجد بنو إسرائيل أنفسهم قد ضلوا الطريق وقد سد

البحر الأحمر طريقهم، والجبال عن شمالهم ويمينهم عالية شاهقة. وإذا جنود فرعون يسدون المكان الخالى ويطبقون عليهم من بعيد.

وعندئذ قال الملأ مع موسى: إنا لمدركون.. سيلحق بنا فرعون وجنوده لا محالة.

فقال موسى عليه السلام: كلاّ إن معى ربى سيهدينى.

كان الموقف صعباً وخطيراً: البحر من أمامهم والعدو من خلفهم والجبال الشاهقة من حولهم.

وهنا نصر الله نبيه فأوحى إليه: أن اضرب بعصاك البحر فانفلق البحر إلى شطرين بينهما طريق يابس.

فتقدم موسى ومن معه وساروا حتى عبروا البحر بسلام.

ولما وصل فرعون هو وجنوده إلى البحر وشاهد هذا المنظر أمام عينيه. اعتقد أن المسألة سوف تدوم على حالها وأن هذا الطريق اليابس سوف يظل على حاله فتقدم فى كبر وعناد وأمر جنوده بعبور البحر..

ونزل فرعون وجيشه حتى وصلوا إلى منتصف الطريق.

وحينئذ أمر الله موسى أن يضرب البحر مرة أخرى بعصاه ففعل موسى ذلك فإذا البحر ينطبق عليهم فجأة فأغرقهم جميعاً.

وهلك فرعون وجنوده فى لحظات معدودة.

وأنزل الله بعد ذلك التوراة على موسى، وظل يدعو قومه إلى عبادة الله سبحانه وتعالى حتى لقى ربه.

دخل بنو إسرائيل بلاد فلسطين. وكانوا مطمعاً لهجوم القبائل المحيطة بهم من العرب والفلسطينيين والآراميين. وكانت المعارك سجالاً بينهم. فتارة ينتصر اليهود عليهم، وتارة تنتصر القبائل على اليهود.

كان الله سبحانه وتعالى يرسل الأنبياء لإرشاد أولى الأمر من بنى إسرائيل. وكان النبى فى بعض الأوقات يتولى وظيفة القضاء.

وفى أحد الحروب بين بنى إسرائيل والفلسطينيين كان بنو إسرائيل قد أخذوا معهم تابوت العهد. وكان بداخل هذا التابوت كتابهم المقدس.

وانتصر الفلسطينيون على بنى إسرائيل فى هذه المعركة وأخذوا منهم التابوت المقدس.

ذهب بنو إسرائيل إلى نبيهم وكان اسمه صمويل وكان فى بلدة اسمها الرامة.

وقالوا له: اجعل لنا ملكاً منا نأتمر بأمره لكى نقاتل فى سبيل الله تحت رايته ونستعيد أرضنا وكتابنا.

وكان نبيهم صمويل عالماً بهم وما تنطوى عليه أنفسهم.

فقال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾ [البقرة: ٢٤٦] إننى غيرواثق من أنكم سوف تقاتلون!!!

فقالوا له: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وكان شاباً جميلاً يافعاً قوياً ولم يكن فى بنى إسرائيل أجمل منه .

فقالوا له : كيف يكون هذا الرجل ملكاً علينا ونحن أحق بالملك منه . وهو أيضاً رجل فقير لا يملك شيئاً .

فقال لهم نبيهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] .

قالوا : وما هى آية ملكه؟

قال صمويل : سيأتيكم التابوت الذى أخذ منكم ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] .

* * *

تم تجهيز جيش كبير بقيادة طالوت وذلك لملاقاة «جالوت» .

وكان جالوت جباراً من الجبابرة ومبارزاً ماهراً تهابه الجيوش وتخشاه الفرسان .

أوحى الله إلى صمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير إلى جالوت من بيت المقدس بالجنود . لم يتخلف عنه إلا مريض أو هرم أو ضرير .

خرج طالوت بالجنود وسار بهم فى الصحراء . .

قال الجنود لطالوت : إن الحر شديد وإننا نشعر بعطش يكاد أن يقتلنا .

يا طالوت ادع لنا ربك يجرى لنا نهراً .

فقال طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وهو اختبار لكم منه . . والله أعلم بكم .

وكان هذا النهر بين الأردن وفلسطين . . وكان ماؤه عذباً .

قال طالوت : أيها الرجال من شرب من هذا النهر فليس من أهل دينى

ولا أهل طاعتى .

ومن لم يشرب منه فإنه من أهل دينى وطاعتى .

ثم استدرك قائلاً : إلا من اغترف غرفة بيده . أى ملأ كفه ليبل ريقه بالماء . فلا لوم عليه وسيكون معى فى الجيش .

وبهذا الاختبار استطاع طالوت أن ينقى جيشه من ضعفاء الإرادة والجبناء

ظل طالوت يتقدم بجنوده إلى أن جاءت اللحظة الحاسمة والتقى الجيشان ووقف جيش طالوت أمام جيش جالوت وبطبيعة الحال كان جيش طالوت أقل عدداً من جيش جالوت . .

وهنا قال الضعفاء من جنود طالوت :

﴿ لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

كيف نستطيع أن نهزم هذا الجيش الكبير؟!

فقال المؤمنون من جيش طالوت الذين يظنون أنهم ملاقوا الله : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[البقرة: ٢٤٩] إن عدة الجيش هو الإيمان بالله والشجاعة والإقدام وإن الجيوش لا تنتصر دائماً بكثرة أعدادها أو بقوة أسلحتها .

برز جالوت لجنود طالوت ومعه سيفه وحربته مرتدياً درعاً حديدياً .

ثم أرسل إلى طالوت : أن ابرز إلىَّ أو أبرز إلى من يقاتلنى . فإن قتلنى فلك ملكى وإن قتلته فلى ملككم .

فشق ذلك على طالوت وجنوده .

وظهر من بين الجيش فتى يقال له «داود» وكان ضعيف الجسم قصيراً . . وكان يعمل فى رعى الأغنام . ولكنه كان مؤمناً بالله حق الإيمان . وكان يعلم أن الإيمان بالله هو مصدر القوة والنصر .

ذهب داود إلى طالوت وقال له : إإذن لى فى قتال جالوت . فلما

شاهده طالوت لأول وهلة رفض طلبه .

وقال له : إنك ضعيف الجسم وليس لك خبرة بالقتال ، أنت راعى غنم .

وكان داود لم يحمل سلاحاً فى حياته . ولم يحمل أكثر من الحجارة التى كان يهش بها على غنمه .

ذهب داود إلى طالوت مرة أخرى وطلب منه أن يأذن له فى ملاقاة جالوت . .

فقال له الملك طالوت : لقد أذنت لك أن تلاقى جالوت واعلم أنك لو انتصرت عليه فسأجعلك قائداً على الجيش وسأزوجك من ابنتى . .

كان داود رجلاً صالحاً تقياً مؤمناً بالله وكان كل ما يريده هو القضاء على جالوت وجنوده لأنهم أعداء الله .

أخذ داود عليه السلام جرابه فتقلده وأخذ المقلاع «وهى نبلة يستخدمها الرعاة فى قذف الأحجار» . وسار نحو جالوت .

كان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يقهر الجيوش وحده . وكان يرتدى درعاً حديداً على جسده وعلى وجهه .

لما برز جالوت إلى داود ألقى الله تعالى فى قلبه الرعب .

وقال لداود : أنت الذى تبرز إلى؟

قال له داود : نعم ، أنا الذى أبرز إليك وسوف أقتلك بإذن الله . .

قال جالوت : لأقَسِّمَنَّ لحمك بين سباع الأرض وطير السماء .

أخرج داود ثلاثة أحجار من جرابه ووضعها فى مقلاعه وقال : باسم الله ، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وأدار داود المقلاع ورمى به . .

فسخّر الله له الريح فحملت الأحجار وجعلتها حجراً واحداً من قوتها ووجهها نحو جبهة جالوت فحطمت رأسه حتى اختلطت أنفه فى دماغه وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً .

لما قتل داود جالوت أخذ الناس يذكرون داود وعظم فى أنفسهم. وأصبح داود من أشهر الناس فى مملكته، وعينه الملك قائداً للجيش كما وعده.. وزوجه ابنته..

ولما كان داود من المتقين الصالحين فلم يكن يهتم بكل هذه الأمور الدنيوية الزائلة.. كان شغله الشاغل هو ذكر الله وتسبيحه وتحميده.

كان داود لا يغفل عن عبادة ربه لحظة من اللحظات وانقطع لعبادة ربه.

أوحى الله تعالى إلى داود كتاباً مقسماً اسمه «الزبور» وكان كالتوراة يقرأ منه ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وكان داود عليه السلام حسن الصوت حسن الإنشاد وقد قيل فى وصف صوته إنه يعدل سبعين مزماراً.

وقد قال رسول الله ﷺ لأبى موسى الأشعرى حينما سمعه يقرأ: «**لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود**».

وكان داود إذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح مثل ما يسبح.

وكان إذا ترنم بقراءة كتاب يقف الطير فى الهواء يرجع ترجيعه ويسبح بتسبيحه.

وقد أعطى داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد من قبل حتى أن الطيور والوحوش تنعكف حتى تموت عطشاً وجوعاً وحتى إن الأنهار لتقف.

أعطى الله تعالى نبيه داود عليه السلام مقدرة على فهم لغة الطيور والحيوانات. وكان يحب كل المخلوقات ويعطف عليها، ويطعمها ويسقيها ويداويها.

وكانت كل الطيور والحيوانات تعرفه وتحييه، وتأتى إليه من كل مكان.

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص: ١٧، ١٨، ١٩].

أعطى الله سبحانه وتعالى داود ملكاً عظيماً.

ومن نعم الله عليه أنه ألان له الحديد فجعله فى يده مثل قطعة العجين فكان يشكلها كيفما يشاء، فكان يصنع الدروع للجيوش لكثرة الحروب فى تلك الأيام وكانت الدروع القديمة التى يستخدمها الجنود ثقيلة تعيق حركة الجنود فى المعركة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠، ١١]، فكان يقطع الحديد قطعاً صغيرة ويجعل بعضها فى بعض فتكون حلقات مرنة الحركة تجعل الجندى يتحرك بسهولة فى ميدان المعركة.

انتصر داود فى جميع المعارك التى خاضها، وذلك لأنه كان يدخل المعركة على قوة إيمانه بالله وهو يعلم أن النصر من عند الله وحده.

كان داود دائم الشكر لله. ذاكراً لأنعم ربه عليه.

شدد الله ملك داود ونصره على جميع أعدائه ومبغضيه، وقد قواه الله بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود.

فلما ذاع صيت داود فى أنحاء البلاد اشتعلت نار الغيرة فى قلب ملك البلاد وأراد أن يتخلص من داود. ولما علم داود بأن الملك جهز جيشاً لمقاتلة داود والقضاء عليه، لم يشأ أن يقتله أو يؤذيه لأنه علم أنه يغار منه.

دخل داود على الملك وهو نائم وانتزع سيفه منه وقطع جزءاً من ثيابه.

ولما استيقظ الملك قال له داود: لقد كان فى استطاعتى أن أقتلك وأقضى عليك، ولكنى أخاف الله ربى ولا أحب أن أضر أحداً.

اعتذر الملك لداود وطلب منه العفو وتركه ورجع.

تولى داود عليه السلام الملك بعد موت الملك فى أحد المعارك، فقد اختاره الناس ملكاً عليهم لما فعله معهم من حماية بلادهم من الأعداء.

أعطى الله داود الحكمة وفصل الخطاب وشد الله ملكه وأعطاه النبوة والملك.

ورزق الله داود ولداً اسمه (سليمان) كان طفلاً ذكياً.

كان داود جالساً يحكم بين الناس ويحل مشاكلهم، وإذا رجلان يدخلان عليه وكان أحدهما له حقل يزرعه.

فقال صاحب الحقل: يا نبى الله، لقد نزلت غنم ذلك الرجل فى حقلى أثناء الليل وأكلت كل الثمار التى كانت فيه.. وأريدك أن تحكم لى وأنا راض بحكمك.

فقال داود للرجل الآخر: هل حدث هذا حقاً؟

قال الرجل: نعم يا نبى الله قد حدث حقاً..

فقال داود: حكمنا عليك بأن تعطى غنمك لصاحب الحقل تعويضاً له عما لحقه من خسارة.

فقال سليمان لأبيه: اسمح لى يا أبى.

فقال داود: تكلم يا بنى.

قال سليمان: إنى أرى يا أبى أن يأخذ الرجل صاحب الغنم الحقل فيصلحه ويزرعه حتى يعود إلى حالته الأولى ويأخذ الرجل صاحب الحقل الغنم فيستفيد من نتاجها من صوف ولبن.

ثم إذا عادت ثمار الحقل كما كانت أخذ صاحب الغنم غنمه وصاحب الحقل حقله.

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

وأعجب داود بحكم سليمان، فحكم بين الرجلين.

كان داود يتعبد فى محرابه، وكان إذا دخل المحراب لا يدع أحداً

يدخل عليه، حتى لا يقطعوا عليه خشوع عبادته، وبينما هو كذلك إذا به يجد رجلين واقفين أمامه، ففزع داود منهما وتعجب كيف دخلا عليه رغم وجود الحراس على باب المحراب..

فقال لهما: ما خطبكما.. من أين أتيتما؟

فقال أحدهما: لقد جئنا إليك لتحكم بيننا بالحق.

فقال داود: وما هى المسألة التى بينكما؟

قال الرجل: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[ص: ٢٣]، أى أخذها منى ونهرنى وسبنى.

فقال داود متسرعاً دون أن يسمع مقالة الرجل الآخر ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [ص: ٢٤].

وفجأة وبعد كلام داود عليه السلام اختفى الرجلان فى طرفة عين.. وهنا أدرك داود أن المسألة من عند الله وأن الله يريد أن يعلمه درساً فى الحكم والقضاء بين الناس.

﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

وتعلم درساً عظيماً بأن لا يحكم بين الناس إلا بعد أن يسمع دفاع كل طرف عن نفسه.

وغفر الله لداود: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٢٥]

ظل داود يعبد ربه ويسبحه حتى لقى ربه وورثه ابنه سليمان عليه السلام.

سليمان عليه السلام

وهو سليمان بن داود عليهما السلام.

كان خاشعاً متواضعاً يخالط المساكين ويجالسهم. وكان أبوه فى أيام ملكه يشاوره فى كثير من أموره مع صغر سنه، وكان وافر العقل والعلم..

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

لقد ورثه فى النبوة والملك، وليس المراد ورثه فى المال.

وقف سليمان عليه السلام يدعو ربه خاشعاً متضرعاً فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

فأجاب الله دعاءه بخصائص لم يكرم بها أحداً من خلقه قبله ولا بعده.. ومن هذه الخصائص أن سخر له الريح طوع أمره. ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص: ٣٦].

وكان سليمان عليه السلام يحب الغزو. وكان لا يسمع بملك فى أى ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يقهره ويذله، وكان إذا أراد الغزو أصدر أوامره إلى جنوده فيبنى قاعدة كبيرة من الخشب. ويجعل لنفسه سريراً على هذه القاعدة ثم يحمل على تلك القاعدة الخشبية الناس والدواب والأسلحة ثم يأمر الريح العاصفة، فتدخل تحت تلك القاعدة فتحملها فتذهب به حيث يشاء.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ: ١٢].

وكان جيش سليمان يختلف عن سائر الجيوش المعروفة للناس فقد كان جيشه من أغرب الجيوش، كان يتكون من الإنس والجن والطيور والوحوش والشياطين.

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل: ١٧]

لقد سخر الله تعالى من المخلوقات ما لم يستطع أحد من خلقه أن يسخره أو حتى يراه بعينه وذلك مثل تسخير الجن والشياطين.

حتى أن الطيور كانت تلعب دوراً هاماً فى جيش سليمان، فلقد كانت تجوب الأنحاء شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً تأتى بالأخبار والأنباء، وتخبر سليمان بكل ما يدور فى ملكه، ولقد كان سليمان يعلم منطق الطير ويحدثهم ويحدثونه ويأمرهم وينفذون أوامره.

كما سخر الله تعالى الرياح لسليمان، كان يتحكم فيها ويأمرها أن تذهب به حيث يشاء هو ومن معه ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص: ٣٦].

واستطاع سليمان عليه السلام أن يتحكم فى الشياطين رغم كفرهم وعنادهم وتمردهم، حتى أنه كان يقيدها بالسلاسل ويعذبها إذا عصت أمره.

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ [ص: ٣٧, ٣٨].

وبالرغم من هذا الملك العظيم الذى كان فيه سليمان عليه السلام لم يغفل عن عبادة ربه طرفة عين، لم يلهه الملك ولم يغره سلطانه عن ذكر الله، فلقد كان ذاكراً لله شاكراً لأنعمه، ولذلك قال فيه الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، فكان عبداً كثير الصلاة وكثير الصيام، مسبحاً، باكياً، مستغفراً. كان متجهاً دائماً بوجهه إلى الله تعالى؛ وتلك صفة الأنبياء.

كان سليمان يستعد ذات يوم للخروج فى غزوة من غزواته وراح يمر يستعرض الجنود والخيل، ثم أعجبه منظر الخيل وراح يتأملها بإعجاب واستغرق وقتاً فى ذلك.

وتذكر سليمان فجأة أن الصلاة كادت تفوته ويضيع وقتها فسجد لله خاشعاً نادماً، وصلى الصلاة المفروضة عليه. وقال ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ﴾ [ص: ٣٢].

وكان سليمان عالماً بأحوال الخيل وأمراضها فأمر جنوده فأحضروا له الخيل فأخذ يمسح على سوقها وأعناقها لكى يمتحنها ويختبرها، ليعلم ما فيها من أمراض.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣١, ٣٢, ٣٣].

* * *

جاءت امرأتان، ذات يوم، إلى سليمان عليه السلام تتنازعان على ملكية طفل صغير.

فقال لهما سليمان: أقبلا.. ما خطبكما؟

فقالت امرأة منهما: أنا أم هذا الطفل.

فقال سليمان للأخرى: وماذا تقولين أنت فى هذا الطفل؟

فقالت المرأة الأخرى: إننى أنا أم هذا الطفل يا نبى الله.

وهنا تظهر حكمة وعلم سليمان عليه السلام.

فقال لهما: لقد وجدت لكما حكماً عادلاً..

فقالتا فى صوت واحد: وما هو ذلك الحل؟

فقال سليمان: سنقسم الطفل بينكما بالعدل، وستأخذ كل امرأة منكما النصف.

وهنا صاحت الأم الحقيقية فى ذعر وقالت: لا أريد هذه القسمة وقد تنازلت عن الطفل كله لها.

واستطاع سليمان أن يتعرف على الأم الحقيقية بحكمته وعلمه ورد إليها الطفل، وعاقب المرأة الأخرى.

* * *

ومن أنعم الله على سليمان عليه السلام أن أسالَ له عيْن القطر ـ وهو النحاس المذاب ـ وكان سليمان رجلاً ماهراً فى فنون العمارة والبناء: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢] . . وقد استخدم سليمان النحاس المذاب فى البناء وفى صناعة الأسلحة، فقد كان يمزج النحاس بالحديد لكى يصنع البرونز فَصَنَع منه السيوف والخناجر والحراب والدروع، وكانت أسلحة قوية ومتينة.

وأصاب الناس قحط فى عهد سليمان عليه السلام، فأمر الناس بأن يخرجوا ليطلبوا الماء.

وأثناء ذلك رأى سليمان نملة واقفة على رجليها رافعة يديها وتقول: «اللهم إنا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك» فصب الله عليهم المطر. .

فتبسم سليمان وقال لمن معه: ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة. .

أراد الحق سبحانه وتعالى أن يمتحن نبيه سليمان عليه السلام وذلك ما كان يحدث مع كل نبى من الأنبياء، فكان الله يختبر كل نبى من أنبيائه بصورة مختلفة.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤]، لقد مرض سليمان مرضاً شديداً. . وجاء الأطباء من كل مكان. فلقد جاء أطباء من مهرة الأطباء من الإنس ومن الجن حتى إن الطيور كانت تشارك فى علاجه بإحضار الأدوية من أقاصى البلاد. . ولكن المرض كان يزداد ويشتد على سليمان عليه السلام. كان يجلس على عرشه جثة هامدة لا حركة فيها فكان من يراه يظنه ميتاً لعدم حركته.

وهنا تتجلى أخلاق النبوة وعظمة الإيمان وقوة اليقين بالله. . فلم يقنط سليمان من رحمة ربه. . ولم ينس ذكر ربه والتضرع إليه والصلاة له.

ومر سليمان فى هذا الاختبار بنجاح . . واستجاب له ربه وأذهب عنه البلاء والمرض . .

كان سليمان يعلم أن الشفاء من عند الله وحده . . وأنه لو اجتمعت كل مخلوقات الأرض من إنس وجن وشياطين ودواب على أن ينفعوه فلن ينفعوه بشىء إلا بإذن الله تعالى .

أمر سليمان جنوده ببناء هيكل عظيم ليتخذه الناس معبداً يعبدون فيه الله تعالى .

واشترك فى بناء هذا المعبد الآلاف من العاملين المهرة .

أرسل سليمان الشياطين وجعلهم فرقاً : فريقاً يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه ، وفريقاً يغوصون فى البحر ويستخرجون أنواع الدر ، وفريقاً يأتون بالمسك والعنبر وأنواع الطيب من أماكنها . .

أحضر سليمان الصنّاع وأمرهم بنحت تلك الحجارة وإصلاحها ونقشها وتهذيبها .

وقامت الجن بصناعة تماثيل عظيمة ، كما كانت تقوم بصناعة قدور الطعام للعاملين والصناع والجنود . وكانت تلك القدور كالجبال من عظم ثقلها وحجمها ، وكانت أوانى الشرب مثل الأحواض لاتساعها الكبير .

﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٢ ، ١٣] .

كان سليمان عليه السلام ملكاً عادلاً رحيماً بكل مَنْ حَوْلَهُ من الإنس والجن والدواب ولاطير . .

وبينما كان يسير يوماً مع جيشه سمع نملة تقول لمن معها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

[النمل: ١٨] .

وكان لا يتكلم مخلوق إلا حملت الريح الكلام وألقته فى مسامع سليمان.

فقال سليمان لجنوده: ائتونى بهذه النملة.

فأحضروها له..

فقال لها: لمَ حذرت النمل منى، هل سمعتم أنى ظالم؟ أما علمتم أنى نبى عادل..؟

فقالت له النملة: يا نبى الله أما سمعت قولى: ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾؟! [النمل: ١٨]، لقد خشيت أن يتمنين ما أعطيت من الملك فيفتتن ويشتغلن بالنظر إليك عن التسبيح وذكر الله.

فيبتسم سليمان من قولها ضاحكاً متعجباً ثم قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَالِدَىَّ﴾ [النمل: ١٩].

وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربعة من الدواب: «الهدهد والصرد والنحلة والنملة».

خرج سليمان عليه السلام ذات يوم يتفقد أحوال جيشه ويمر على جنوده، وكان جيش سليمان يشمل جنوداً من الإنس والجن والطير والدواب..

فمر سليمان على جنوده من الإنس وأصدر أوامره وتعليماته لجنوده وضباطه وقواده وتفقّد أسلحتهم وعدتهم وجهازهم.

ثم مر على جنوده من الجن وسأل عن أحوالهم ومطالبهم، وبعد ذلك مر على الدواب والحيوانات، ينظر إلى طعامهما ويعالج المريض فيهما. ثم بعد ذلك ذهب إلى مكان الطيور وهنا اكتشف أن الهدهد غير موجود فى المكان المخصص له..

فنادى سليمان فى الطيور: ﴿مَا لِىَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠]، ولم تجب الطيور على سليمان فعرف من عدم ردهم أن الهدهد غير موجود بالفعل.

فقال لهم سليمان مرة ثانية : ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل ٢٠ , ٢١] .

غضب سليمان غضباً شديداً وتوعد الهدهد بالعذاب أو الذبح إلا أن تكون له حجة بينة تبرر غيابه هذا بأن يكون غياب الهدهد بفائدة يعود عليهم جميعهم .

وعاد سليمان إلى قصره غاضباً يفكر فى أمر ذلك الهدهد الغائب وسبب غيابه وتركه مكان عمله بغير إذن أو مهمة رسمية كلف بها .

وبعد فترة من سؤال سليمان عن الهدهد . . عاد الهدهد إلى مكانه بين الطيور، فنظرت إليه جميع الطيور نظرة لوم وعتاب وصاحت فيه بغضب :

- أين كنت أيها الهدهد الشقى؟

فقال لهم الهدهد : ماذا بكم؟ لماذا تتحدثون معى هكذا؟

قالت الطيور : ويلك . . إنك لا تدرى ماذا أعد لك سليمان من عقاب .

إنك لو تعلم ما قاله لذهبت من بيننا بغير رجعة . .

فقال الهدهد : إننى لم أكن ألهو ولا ألعب . . إننى كنت فى رحلة عمل، وأنا الآن ذاهب إلى الملك سليمان لكى أخبره بما أحمله من أسرار وأخبار .

طار الهدهد ودخل على سليمان وهو جالس على عرشه، وقال لسليمان ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل : ٢٢] .

فنظر إليه سليمان وقال له : أكمل يا هدهد وهات ما عندك!

فقال الهدهد : ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل : ٢٣ , ٢٤]، وكانت هذه المرأة هى (بلقيس) ملكة سبأ وكان عرشها مزخرفاً بأنواع اللآلىء والجواهر والذهب والحلى الباهر .

ثم استطرد الهدهد قائلاً ومتعجباً من أمر هؤلاء القوم: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].

فقال سليمان للهدهد: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧]

فقال الهدهد لسليمان: «يا نبى الله، ما أقول إلا الحق».

وهنا قام سليمان من مكانه وكتب رسالة بخط يده وأعطاها إلى الهدهد وقال له: أيها الهدهد خذ هذه الرسالة واذهب إلى هؤلاء القوم وأعطهم إياها، ثم راقبهم جيداً وانظر ماذا سيكون رد فعلهم عندما يقرأون هذه الرسالة، ثم عد إلينا مرة ثانية وقص علينا ما سوف ترى.

وكان سليمان قد دعاهم فى تلك الرسالة إلى طاعة الله وطاعة رسوله والإنابة والإذعان إلى الدخول فى ملكه والخضوع لسلطانه.. فقد قال لهم فى تلك الرسالة: ﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

حمل الهدهد الرسالة وطار مسرعاً إلى مملكة سبأ ونفذ ما أمره به سليمان. ثم عاد مرة أخرى ودخل على سليمان وقال: يا نبى الله لقد فعلت ما أمرتنى به وألقيت إليهم بالرسالة فتناولها كبار رجال الدولة وقالت لهم الملكة:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩، ٣٠، ٣١].

ثم قالت: يا أيها الملأ، إن الملك سليمان يطلب منا أن نذعن لأمره ونخضع لأمره وندخل تحت ملكه..

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]، ما كنت لأتخذ قراراً إلا وأنتم حاضرون.

فقالوا لها: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل: ٣٣]، إننا لا نخاف منه ومن تهديده، ونستطيع أن نحاربه ونقهره.

فقالت لهم : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

اننا لا نعرف مدى قوته أو إمكاناته، ولو تغلب هذا الملك على مملكتنا هذه لم تكن الشدة والسطوة إلا على..

فقالوا لها: أيتها الملكة ماذا ستفعلين إذاً؟

فقالت الملكة: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]، سنرسل إليهم هدية حتى نستطيع أن ندخل بلدهم ونعرف مدى قوتهم حتى نعد لهم العدة المناسبة.

شكر سليمان الهدهد وقال له: لقد قمت بمهمة عظيمة فعد إلى مكانك واسترح..

وبعد أيام وصلت هدية ملكة سبأ إلى سليمان وكانت هدية قيمة من المجوهرات القيمة من الذهب والفضة والياقوت والزمرد وغير ذلك من الأحجار الكريمة..

فلما وصل رسل بلقيس شاهدوا ما لم يشاهدوه من قبل. وجدوا جيشاً لا أول له ولا آخر، ووجدوا من الأسلحة والمعدات ما لم يروه من قبل، ووجدوا قوة لا يستطيع أحد أن يقف أمامها أو يوقف زحفها.

كان سليمان عليه السلام في غنى عن هداياهم فقد كان من أغنى الناس وقال للرسل: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [النمل: ٣٦].

ثم قال: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ [النمل: ٣٧].. لأبعثن إليهم جنوداً لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا قتالهم ولأخرجنهم من بلدهم ودولتهم أذلة ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

وعاد الرسل وقصّوا على بلقيس كل ما شاهدوه وسمعوه من سليمان، فقررت أن تذهب بنفسها إلى سليمان.

تحدث سليمان إلى الملأ من حوله وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٨].

فقال عفريت من الجن: ﴿ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل: ٣٩]، فلم يتكلم سليمان ونظر إلى الملأ حوله.

فقال الذى عنده علم من الكتاب: ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠]، وما كاد سليمان أن يرمش بعينه مرة واحدة حتى وجد عرش الملكة بلقيس أمامه، هنالك أدرك سليمان نعمة ربه عليه.

﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].

ثم قال سليمان: ﴿ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ [النمل: ٤١]، أى غيروا شكله ومعالمه ﴿ نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: ٤١]، سنرى هل ستعرف عرشها أم لا؟

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ [النمل: ٤٢]، لقد أصاب بلقيس الذهول والعجب حينما حضرت ورأت عرشها قد سبقها. كيف حدث هذا؟ وكيف تم هذا التغيير فى العرش بتلك السرعة؟!!

شيد سليمان قصراً عظيماً ليستقبل فيه بلقيس وجعل أرضه من الزجاج الشفاف الصلب، وكان القصر قد بنى فوق البحر، فكان من يسير فى القصر يرى كل ما يعيش فى البحر تحت أقدامه من أسماك وأعشاب وكان الزجاج من شدة شفافيته لا يرى..

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ [النمل: ٤٤] ظنت بلقيس أنها سوف تخوض فى مياه فرفعت ثيابها عن ساقيها كى لا تبتل بالماء.

فقال لها سليمان : ﴿ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ [النمل: ٤٤] ، وهنا علمت بلقيس وأدركت أنها أمام نبى من الأنبياء ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وفاة سليمان عليه السلام :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]

دخل سليمان عليه السلام بيت المقدس فى المرة التى توفى فيها فبينما هو يصلى إذ رأى شجرة نابتة بين يديه .

فقال لها : مااسمك؟

قالت : اسمى الخروبة .

قال : ولأى شىء نبتك؟

قالت : لخراب هذا المسجد .

فقال سليمان : ما كان الله تعالى أن يخربه وأنا حى ، أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ، فنزعها وغرسها فى حائط له .

ثم قال : اللَّهم اخف عن الجن موتى . . . فقام يصلى متكئاً على عصاه فمات . ثم بقى على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يعاقبهم .

ثم جاءت دابة من الأرض ، كانت من النمل وبدأت تأكل عصا سليمان وبدأت العصا تنقص شيئاً فشيئاً حتى انكسرت وسقط جسم سليمان عليه السلام على الأرض .

ولقى سليمان عليه السلام ربه راضياً مرضياً .

أيـوب عليه السلام

كان أيوب رجلاً كثير المال من صنوفه وأنواعه من الأنعام والمواشى والعبيد والأراضى الشاسعة.

أراد الله سبحانه وتعالى أن يمتحن أيوب عليه السلام فى إيمانه وقوة عزيمته كما امتحن غيره من الأنبياء من قبله ومن بعده..

وقد كان ابتلاء أيوب عليه السلام فى كل ما هو عزيز عليه... فقد ابتلاه الله عَزَّ وجل فى جسده وأهله وماله..

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

لم يبق من أيوب عليه السلام عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عَزَّ وجل بهما. كان أيوب صابراً محتسباً ذاكراً لله عز وجل فى ليله ونهاره وصباحه ومسائه.

كان المرض يزداد كل يوم على أيوب حتى تساقط لحمه ولم يبق منه إلا العظم والعصب.

وكانت زوجته تأتيه بالرماد وتفرشه تحته.

وذات يوم قالت له: يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك!!

فقال لها أيوب: لقد عشت سبعين سنة صحيحاً، فهو قليل لله أن أصبر سبعين سنة.

وكانت زوجته تقوم على خدمته وإطعامه وكانت تعمل عند الناس بالأجر بعد أن ذهب كل ماله وثروته وأصبح فقيراً لا يجد ما يأكله.

انتهز الشيطان فرصة ابتلاء أيوب وظن أنه يستطيع أن يجعله يقنط من رحمة الله، فكان يذهب إليه ويوسوس له.

وذهب الشيطان إلى أيوب وقال له: يا أيوب إن البلاء الذى أنت فيه بسببى وبمس منى، وإن صبرك هذا لن ينفعك ولن يذهب عنك ما أنت فيه..

فقال له أيوب: وما تريد يا عدو الله؟

فقال الشيطان: أن تكف عن صبرك هذا، وعن ذكرك لله فيذهب

عنك ما أنت فيه.

فقال أيوب عليه السلام: اذهب يا عدو الله.. والله لن أكف عن صبرى وعن ذكرى لله، فهو أرحم الراحمين..

ثم رفع أيوب يديه إلى السماء وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

مر أيوب عليه السلام بنجاح ولم يجزع ولم ييأس من رحمة الله.

قال الله تعالى: يا أيوب نفذ فيك حكمى وسبقت رحمتى غضبى إذ أخطأت فقد غفرت لك ورحمتك، لقد رددت إليك مالك وأهلك لتكون آية لمن بعدك وتكون عبرة لأهل البلاءً وعزاء للصابرين.

يا أيوب ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

فجّر الله تعالى لأيوب عليه السلام عين ماء فى الجبل وأمره أن يستحم فيها، ويشرب من مائها.

وفعل أيوب ما أمره الله به فذهب عنه البلاء وشفى من كل الأمراض التى كانت فى جسده وعاد أقوى وأصحُّ مما كان من قبل.

وكان أيوب قد غضب من امرأته يوماً وهو فى مرضه وأقسم أن يضربها مائة ضربة بالعصا.

فلما عافاه الله من البلاء أمره الله بأن يجمع حزمة من الأعواد الرقيقة الرفيعة عددها مائة عود. وقال له: يا أيوب اضرب زوجتك بهذه الحزمة ضربة واحدة.. لكى لا تحنث فى قسمك.

ونفذ أيوب أمر ربه وتحرر من قسمه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٣، ٤٤].

ويضرب المثل بصبر أيوب عليه السلام وبما حصل له من أنواع البلايا.

يـــونس عليه السلام

هو يونس بن متى وكان يلقب ب(ذى النون) كما جاء فى القرآن الكريم.

كان يونس بن متى رجلاً صالحاً. كان يعيش فى قرية اسمها «نينوى» وهى إحدى قرى «الموصل».

كان قوم يونس يعبدون الأصنام. فأرسل الله إليهم يونس لينهاهم عن عبادة الأصنام ويدعوهم إلى عبادة الله رب العالمين وحده، وينهاهم عن الكفر ويأمرهم بالتوحيد.

ظل يونس يدعو قومه ويبين لهم طريق الحق ولكنهم كانوا معاندين له ولم يؤمن منهم أحد.

لما رأى يونس العناد والكفر من قومه خرج من بين أظهرهم ووعدهم بحلول العذاب بهم بعد ثلاثة أيام.

وامتلأ قلب يونس بالغضب وخرج مغاضباً وعزم على هجرتهم ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

خرج يونس وهجر قومه دون وحى من ربه يأمره بذلك فقد خرج من تلقاء نفسه ولم ينتظر وحياً من السماء وتعجَّل الأمر وذلك بسبب الغضب الذى سيطر عليه.

وذهب متوجهاً إلى البحر لكى يركب سفينة تبعده عن قومه.

ولما ركب يونس السفينة وأصبحت فى عرض البحر أخذت الأمواج تعلو وتشتد وذهبت السفينة تموج بمن عليها وتضطرب وكادوا يغرقون جميعاً.

وكان من عادة أهل ذلك الزمان أنه إذا حدث مثل ذلك الأمر اقترعوا فيما بينهم ليلقوا بأحد من ركاب السفينة فى البحر.

وصاح القوم على السفينة: إن فى السفينة عبداً آبقاً.

إن من بيننا عبداً خاطئاً قد ثارت بسببه الأمواج، سنقوم بإجراء قرعة

فيما بيننا فمن وقعت القرعة عليه ألقيناه فى البحر لكى ننجو جميعاً . .

واشترك كل من فى السفينة فى هذه القرعة وساهم معهم يونس عليه السلام ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ [الصافات: ١٤١] ، وتمت القرعة فخرج اسم يونس، ثم أعيدت القرعة مرة ثانية فخرج اسم يونس أيضاً، ولم يبقَ إلا إجراء القرعة للمرة الثالثة والأخيرة.

وأجريت القرعة للمرة الثالثة وإذا باسم يونس هو الذى يخرج من بين الأسماء كلها.

وتوجه جميع من فى السفينة إلى يونس وقالوا: أسرع يا رجل وألقِ نفسك فى البحر لكى ننجو من الهلاك المحيط بنا . .

وفى هذه اللحظة أدرك يونس خطأه . . وعلم أنه ما كان يجب عليه أن يترك قومه ويهجرهم بغير إذن من الله تعالى.

قال يونس: كان يجب علىَّ أن لا أتسرع وأغضب، وكان يجب أن أنتظر وحياً من الله تعالى.

أراد الله سبحانه وتعالى أن يعاقب يونس على تسرعه وغضبه.

لم يكن أمام يونس فى تلك اللحظة الخيار فكان لابد أن يلقى بنفسه فى البحر.

كان منظر البحر مخيفاً ومرعباً. الأمواج عالية مضطربة، والليل مظلم، والضباب يخفى وراءه ضوء القمر.

وكان من وراء يونس ركاب السفينة يصرخون فيه ويأمرونه بأن يلقى نفسه فى الماء.

سار يونس إلى حافة السفينة ونظر يميناً وشمالاً ثم ألقى نفسه فى البحر . .

لقد كان يونس صيداً ثميناً لحيتان البحر.

وتوجه حوت كبير ضخم إلى يونس وابتلعه فى طرفة عين.

ولكن الله تعالى أصدر أمره إلى الحوت بأن يونس ليس طعاماً لك. فلا تؤذه واحتفظ به فى جوفك.

ونفذ الحوت أمر ربه ولم يؤذه ولم يضره بشىء ولم يأكل له لحماً، أو يهشم له عظماً.. ولكن جعله فى جوفه سليماً معافى.. ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات: ١٤٢].

لما استقر يونس فى جوف الحوت ظن أنه قد مات. ولكنه حرك أطرافه فتحركت. فعلم أنه حى وسليم.

خر يونس ساجداً لله وقال: « **يا رب اتخذت لك مسجداً لم يعبدك أحد فى مثله** ».

وكان يونس فى بطن الحوت فى ظلمات ثلاث: ظلمة الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل.. ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

كان يونس فى بطن الحوت نادماً حزيناً على ما فعل وكان وهو فى هذه الظلمات يسبح ربه كثيراً ويذكره ويستغفره.

لقد كانت الكائنات الموجودة فى أعماق البحر تستمع إلى تسبيح يونس عليه السلام واستغفاره.

اجتمعت الكائنات التى فى البحر حول الحوت الذى يحمل يونس وأخذت تسبح الله تعالى مع تسبيح يونس، خر يونس ساجداً داعياً الله سبحانه وتعالى قائلاً: ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ظل يونس فى بطن الحوت مدة من الزمن يسبّح الله ويسجد له ويستغفره.

وسمعت الملائكة تسبيح يونس وهو فى بطن الحوت فقالوا: يا ربنا إننا نسمع صوتاً بأرض غريبة.

فقال تعالى: ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر.

فقالت الملائكة: ذلك العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح؟.

فقال الله تعالى: نعم هو ذاك العبد الصالح.

وتشفعت الملائكة ليونس عليه السلام عند الله سبحانه وتعالى وذلك لصدق توبته وندمه على فعلته.

وعندئذ أصدر الحق سبحانه وتعالى أمره إلى الحوت بأن يصعد إلى سطح الأرض وأن يلقى يونس على الشاطىء.

ونفذ الحوت ما أمره الله وألقى بيونس على الشاطىء فى العراء: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

[الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

ألقى الحوت بيونس فى أرض خاوية عارية لا نبات فيها ولا دابة، وكان يونس قد خرج من بطن الحوت ضعيفاً هزيلاً منهك القوى ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥].

وأنبت الله سبحانه وتعالى ليونس شجرة من يقطين كى يستظل بها ويستريح تحتها حتى استرد عافيته وعاد إلى قومه.

وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**من دعا بدعاء يونس استجيب له**»؛ ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

كلف الله يونس عليه السلام بالدعوة مرة أخرى.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾

[الصافات: ١٤٧، ١٤٨].

قال الله تعالى : ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ١ : ٦].

كانت زوجة عمران عليه السلام عاقراً لا تلد وقد تقدم بها السن وأيست وعجزت وكانت هي وزوجها صالحين يعبدان الله خالقهم.

جلست زوجة عمران عليه السلام في يوم تحت الشجرة فرأت طائراً يطعم فرخًا صغيراً فتحركت شهوتها للولد ودعت الله تعالى وقالت: اللهم إن رزقتني ولداً لأتصدقن به على البيت المقدس فيكون من خدمته وسدنته نذراً وشكراً، قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

فاستجاب الله سبحانه وتعالى لدعائها. وشعرت في يوم بأنها حامل. ففرحت فرحاً شديداً وقررت بأن تفي بنذرها بأن تجعل ذلك المولود خادماً للمسجد متفرغاً لعبادة الله طوال حياته..

ثم كانت المفاجأة وجاء يوم الوضع فوضعت أنثى فرفعت يديها إلى السماء وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٣٦].

واسم مريم بلغتهم يعني العابدة والخادمة.

كانت مريم ـ عليها السلام ـ أجمل النساء وأحسنهن في ذلك الوقت.

ثم دعت امرأة عمران ربها وقالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء زوجة عمران وتقبل منها مريم

بقول حسن وأنبتها نباتاً حسناً، وكانت حكمة الله العلى القدير بأن تكون تلك المولودة أفضل نساء العالمين وأن تكون أماً لعيسى عليه السلام نبى المعجزات فى ميلاده وفى حياته.

لما وُلدَتْ مريمُ أخذتها أمُّها وذهبت بها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون.

وقالت لهم: دونكم هذه النذيرة.

فتنافس عليها الأحبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم.

فوقف زكريا عليه السلام وقال: أنا أحق بها منكم فهى قريبتى وزوجتى خالتها.

فقالت له الأحبار: لا تفعل ذلك. فإنها لو تركت لأقرب الناس إليها لتركت لأمها التى ولدتها..

واتفقوا فيما بينهم أن يقترعوا عليها فتكون عند من يخرج سهمه..

فلما أتموا القرعة خرج سهم زكريا عليه السلام.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] ضمها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها.. وجعلها مع خالتها أم يحيى عليه السلام واسترضع لها حتى كبرت وبلغت مبالغ النساء..

وبنى لها محراباً فى غرفة من غرف المسجد، وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم.

وكان زكريا عليه السلام إذا خرج من عندها أغلق عليها الباب وإذا دخل عليها وجد عندها فاكهة فى غير وقتها وأوانها. كان يجد فاكهة الشتاء فى وقت الصيف ويجد فاكهة الصيف فى وقت الشتاء. فكان يسألها ويقول لها: من أين لك هذا؟ فتقول له: إنه من عند الله من قطف الجنة.

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وكان زكريا عليه السلام قد بلغ من الكبر عتياً.

كان شيخًا عجوزًا ضعيفاً. قد اشتعلت رأسه بالشعر الأبيض.

وكانت زوجته كبيرة السن مثله وكانت عاقراً لم تلد من قبل.

وكان زكريا يخشى على بنى إسرائيل من بعده من التفرق والبعد عن دين الله فكان يرجو أن يكون له ولد يرثه فى العلم والنبوة ويتولى أمر بنى إسرائيل من بعده.

لما شاهد زكريا ما يحدث عند مريم من معجزات إذ يجد أن الله تعالى يرزقها الطعام فى غير وقته أو أوانه قال محدثًا نفسه: إن الله على كل شىء قدير.

وقف زكريا خاشعاً متضرعاً إلى الحق سبحانه وتعالى ودعا قائلاً: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٤: ٦].

كان ذلك النداء من زكريا همساً، كان نداء خفيًا بينه وبين ربه سبحانه وتعالى.

واستجاب الحق سبحانه وتعالى لدعاء زكريا عليه السلام فأوحى إليه وهو قائم يصلى فى المحراب: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].

تعجب زكريا عليه السلام ودهش لتلك البشارة الربانية فقال من شدة فرحه: ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨].

فأجابته الملائكة ﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[آل عمران: ٤٠] إن الله على كل

شيء قدير . . إذا قضى أمراً فلا مرد لقضائه .

شكر زكريا ربه وسأله قائلاً : ﴿ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ﴾ [مريم : ١٠] .

فقال الله تعالى : ﴿ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران : ٤١] .

أخبره الله تعالى بأنه ستمر عليه ثلاثة أيام لا ينطق فيها ولا يستطيع الكلام . . وسيكون ذلك بغير مرض ولا علة . . وإذا حدث هذا فسيكون ذلك دليلاً على أن زوجته حامل . . وأن أمر الله قد تحقق . . وسيكون على زكريا فى ذلك الوقت أن يكلم الناس بالرمز والإشارة .

ولما حدث لزكريا ما أخبره به ربه خرج على قومه وأمرهم أن يسبحوا ربهم بالعشى والإبكار .

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء ٨٩ , ٩٠] .

وولد يحيى عليه السلام وكان الله سبحانه وتعالى هو الذى اختار له هذا الاسم تشريفًا وتعظيماً .

كان يحيى عليه السلام فى طفولته غير كل الأطفال .

كان هادىء الطباع طيب الخلق .

ويقول الله تعالى ﴿ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١٥] .

يبعث حيا :

ووهب الله الحكم ليحى وهو صبى . . فقد كان فى صباه ذا بصيرة ونور وعلم وكان قارئًا مطلعاً فقيهاً .

﴿يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

أوحى الله تعالى ليحيى بأن يأخذ الكتاب بقوة.. وهو كتاب الشريعة.. تعلم علوم الدين والشريعة وكيفية القضاء بين الناس بالعدل. كان حكيماً عالماً بين أهل زمانه. كان يحكم بين الناس ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم وهو مازال صبياً.

كان يحيى عليه السلام تقياً ورعاً باراً بوالديه، رحيماً بكل المخلوقات.

كان يدعو الناس أن يتوبوا من ذنوبهم وأن يغتسلوا فى نهر الأردن ليطهروا أنفسهم من الخطايا والذنوب.

وكان يحيى عليه السلام محبوباً من كل الناس ومن المخلوقات على الأرض حتى الحيوانات والطيور والوحوش المفترسة.

كان يحيى عليه السلام لا ينظر إلى الدنيا وقناعها الزائف الزائل بل كان زاهداً ناسكاً.. فكان يخرج إلى الصحراء والجبال فيمكث فيها أياماً وشهوراً يعبد الله ويصلى له ويتضرع إليه.. وكان لا يهتم بأى طعام فكان يأكل من ورق الأشجار ويشرب من مياه الأنهار.

وكان «يحيى» ينشغل فى العبادة ويستغرق فيها حتى أنه لا يبالى بالوحوش الضارية من حوله، وكان الوحش إذا نظر إليه عرف أنه «يحيى» نبى الله فيبتعد عنه.. وكانت الوحوش فى بعض الأوقات تدخل عليه وهو يأكل فتشاركه فى طعامه.

قال تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وكان «يحيى» عليه السلام يقف بين الناس ويعظهم وينصحهم وكان لوعظه تأثير شديد على الناس حتى أنهم كانوا يبكون من شدة الخشوع.

وكان يعظ قومه ويقول لهم: إن الله تعالى أمرنى بخمس كلمات

أعمل بها، وأمركم أن تعملوا بها:

- أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تقيموا الصلاة خاشعين، وأمركم بالصيام، وأمركم بالصدقة. وعليكم بذكر الله عز وجل.

* * *

وكان هناك ملك بنى إسرائيل فى ذلك الوقت وكان يكرم يحيى بن زكريا ويدنيه من مجلسه ويستشيره فى أمره ولا يقطع أمراً دونه، وفى أحد الأيام أراد ذلك الملك أن يتزوج من امرأه من إحدى قريباته وكانت لا تحل له.

سأل الملك يحيى عليه السلام وقال له: إنى أريد أن أتزوج من تلك المرأة.

فقال له يحيى عليه السلام: أيها الملك إنها لا تحل لك.

فقال له الملك: عليك أن تجد لى فتوى تحل لى الزواج منها.

فقال له يحيى عليه السلام: إن هذا هو حكم الشريعة ولا يجوز لك أن تتزوجها.

فغضب الملك من يحيى عليه السلام غضباً شديداً.

وكانت المرأة التى يريد أن يتزوجها الملك تعمل راقصة وقد شاهدت الحوار بين الملك وبين يحيى.

ذهبت تلك المرأة إلى يحيى وهو قائم يصلى فى محرابه وانتظرت حتى فرغ من صلاته فأقبلت عليه وقالت له: إنى أحبك حباً شديداً وأريدك أن تبادلنى ذلك الحب!!

فقال لها يحيى: إنى متفرغ لعبادة ربى ولا أحب سواه.

انصرفت المرأة من عند «يحيى» وهى حاقدة عليه وعادت إلى قصر الملك.

كان الملك فى ذلك الوقت جالساً يشرب الخمر.

وأقبلت المرأة عليه تسقيه الخمر كأساً بعد كأس ثم قامت وارتدت ملابس الرقص الملونة المزركشة وكانت ترتدى عدة أثواب بعضها فوق بعض.

وكانت أثناء رقصها تخلع ثوباً بعد ثوب حتى أصبح عليها ثوب واحد..

وكان الملك فى ذلك الوقت لا يدرى يمينه من شماله وذلك من كثرة شرب الخمر واندماجه فى رقص المرأة وهى تخلع ثيابها..

وفجأة توقفت المرأة عن الرقص وتوجهت إلى الملك وقالت له:

يا مولاى إنى أريد أن أسألك شيئاً وأنا أعلم أنك لا ترد لى طلباً..

فقال لها الملك: اطلبى ما تشائين..

قالت المرأة: أريد رأس يحيى بن زكريا!

انتفض الملك قائماً وذهب ما به من سُكْرٍ وقال لها:

- اطلبى شيئاً غير ذلك.

فقالت له: إن كنت تحبنى حقاً وتريدنى لك فأنا أريد أن يُقتل يحيى بن زكريا.

وخضع الملك لكلام المرأة وقال لجنوده:

- أريد رأس يحيى بن زكريا.

وخرج جنود الملك يبحثون عن يحيى بن زكريا عليهما السلام.

ووصل الجنود إلى مكان يحيى عليه السلام وقتلوه وهو قائم يصلى.

قال رسول الله ﷺ: **« من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة »**.

عيسى عليه السلام

توفى عمران، أبو مريم، وهى طفلة صغيرة تحتاج إلى عناية ورعاية. وقد كان عمران رجلاً تقياً وعالماً جليلاً من علماء بنى إسرائيل وقد كانت له مكانة عظيمة بين أهله وقومه ، واختلف الأحبار ورجال الدين على من يكفل مريم ويربيها ويرعاها وكان أول من تنافس عليها هو زكريا عليه السلام وذلك لقرابته لها.

وأجريت قرعة بينهم جميعاً، وكانت القرعة من نصيب زكريا عليه السلام وكفلها زكريا وأحسن تربيتها وجعل لها غرفة من غرف المسجد فلا يدخل أحد عليها.

كانت مريم تعبد ربها فى ذلك المحراب آناء الليل وأطراف النهار. . وكانت مثالاً للتقوى والورع والصلاح. .

وبدأت البشارة من الحق سبحانه وتعالى لمريم. . بينما هى تتعبد فى محرابها ذات يوم إذ جاءتها الملائكة ونادتها:

﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢, ٤٣].

أحست مريم بعد ذلك النداء الربانى بأن شيئاً عظيمًا يكاد أن يحدث. . ولكنها لم تكن تعرف طبيعة ذلك الشىء ولكنها أعدت نفسها لذلك الشىء العظيم.

ازدادت مريم فى العبادة والقنوت والسجود والركوع لله رب العالمين.

أحست مريم بفرح عظيم يسرى فى عروقها بعد أن بشرتها الملائكة

بتلك المكانة العظيمة من قبل الله سبحانه وتعالى ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

كانت مريم لا تخرج من المسجد إلا لضرورة.. وفى يوم من الأيام خرجت لقضاء بعض شئونها.. وانفردت وحدها شرقى المسجد الأقصى..

وفى ذلك المكان وجدت رجلاً مضىء الوجه، سوى الخَلْق وكان ذلك الرجل هو جبريل عليه السلام قد أرسله الله لمريم على تلك الصورة لتثبيت مريم ولكى تقدر على استماع كلامه..

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

فلما رأته مريم قالت له: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

سألته مريم: إن كان رجلاً تقياً ألاّ يُلحقَ بها أذى.

فتبسم جبريل عليه السلام وطمأنها وقال لها:

﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩]، أنا لست من البشر أو الجن ولكنى ملك من الملائكة أرسلنى الله إليك ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩].

نظرت مريم إلى جبريل فى دهشة وذهول وراحت تتأمل فى شكله وهيبته والنور الذى ينبعث منه..

ثم تذكرت فجأة أنها عذراء ولم تتزوج.. ولم يمسها إنسان.. وهنا قالت لجبريل على الفور:

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

إننى لم أتزوج من قبل ولم يقترب منى أى إنسان طوال حياتى كما

أننى لست ممن يفعل الفاحشة .

فأجابها جبريل عن تعجبها من ذلك الأمر فقال لها :

﴿كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾

[مريم: ٢١].

هوّن جبريل عليه السلام الأمر على مريم وأخبرها بأنها إرادة الله ومشيئته . . وأنه لا شيء يصعب على الحق سبحانه وتعالى فقد خلق حواء من قبل من غير أم وخلق آدم من غير أب أو أم . وأنه إذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن فيكون .

يا مريم سيكون ذلك الولد آية للناس ودليلاً على كمال قدرة الله فى الخلق والإبداع . وسيكون رحمة للناس بأن يدعوهم إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له .

ثم قال جبريل عليه السلام : إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . . ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين .

ونفخ جبريل عليه السلام نفخة مباركة فى جيب درعها حتى استقرت فى رحمها . فحملت بعيسى عليه السلام .

كان حمل مريم ـ عليها السلام ـ يختلف عن حمل النساء . . فلم تجد فى حمله كرباً ولا تعباً ولا وحماً . . ولم تشعر بثقل ولا مس آلام .

لم يكن أحد يعلم بأن مريم حامل، فقد كانت داخل محرابها لا أحد يدخل عليها . .

ذهبت مريم إلى مكان كثير الأشجار والنخل ثم جلست تحت نخلة بعد أن شعرت بعلامات الوضع . .

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم: ٢٢].

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣].

لقد علمت مريم أن الناس سوف يتهمونها ولا يصدقونها. إنهم سوف يكذبونها حينما تذهب إليهم بغلام تحمله على يديها، كيف يكون ذلك وهى العابدة الناسكة المعتكفة فى المسجد لعبادة الله. ؟!

فناداها جبريل عليه السلام ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤].

وذلك حتى يهدىء من روعها وخوفها ويذهب عنها التفكير فيما سوف يقوله الناس عليها..

ثم عاد جبريل وقال لها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٥].

يا مريم لا يحزنك ما سوف يقولون ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦].

ذهب الكرب والهم عن مريم وحملت طفلها على يديها ثم عادت إلى قومها..

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨].

ورجعت مريم إلى قومها فى وقت كان يجتمع فيه الناس، فشاهدوا الطفل بين يديها، ووقفوا جميعًا وبدأت الأسئلة تنهار عليها:

يا مريم من أين لك هذا الولد؟

يا مريم كيف يكون لك ولد وأنت عذراء؟

يا مريم إنك من بيت صالح..

لقد كان أبوك رجلاً صالحاً..

ولم تكن أمك من أهل الفاحشة . ! !

وكانت مريم قد نذرت للرحمن صوماً بألاّ تكلم اليوم إنسياً .

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [مريم: ٢٩] ، بيدها . . فتعجب الناس من ذلك وتساءلوا فيما بينهم : كيف يسألون طفلاً فى مهده وكيف يستطيع أن يرد على أسئلتهم؟

فقالوا : لمريم : ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ٢٩] .

وتحدث المعجزة الربانية . . فيرد عيسى عليه السلام على قومه قائلاً :

﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠ : ٣٣] .

بدأت قصة عيسى عليه السلام تجوب الأنحاء والأمصار شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، حتى بلغ الخبر مسامع الحاكم الرومانى وكان حاكما طاغياً جباراً ظالماً . .

وبدأ يستفسر ويسأل عن قصة ذلك المولود العجيب . سمع الحاكم الرومانى أن المنجمين قد قالوا بأن ذلك المولود سوف يخلص قومه من الظلم والطغيان . .

جن جنون الحاكم الرومانى بعد أن سمع ذلك الكلام وقال لابد من التخلص من ذلك المولود .

جاء رجل صالح إلى مريم وقال لها : احملى طفلك واخرجى إلى مصر .

قالت مريم : كيف أخرج إلى مصر . . وأنا لم أذهب إلى هناك من قبل . . وأنا لا أعرف الطريق المؤدى إليها؟ .

قال لها الرجل : إن الحاكم الرومانى يريد قتل ابنك . . فيجب أن تخرجى به الآن . . والله معك .

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وعاش المسيح عيسى بن مريم فى مصر هو وأمه. ثم عادا مرة أخرى إلى فلسطين بعد أن هلك الملك الطاغية..

رجع عيسى وأمه ـ عليهما السلام ـ وسكنا فى جبل الخليل فى قرية يقال لها (ناصرة). وكان عيسى يتعلم فى الساعة علم يوم وفى اليوم علم شهر وفى الشهر علم سنة..

ولما تم عيسى عليه السلام ثلاثين سنة أوحى الله تعالى إليه أن يخرج للناس ويدعوهم إلى الله فكان يداوى المرضى والعميان والمجانين، فأحبه الناس ومالوا إليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره.

وكانت هناك جماعة تسمى «بالحواريين» كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياؤه وأنصاره وكانوا اثنى عشر رجلاً.

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقد سموا بالحواريين لصفاء قلوبهم ولأنهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها.

قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [المائدة: ١١٠].

أيد الله تعالى عيسى عليه السلام بالروح القدس وهو «جبريل» فكان قرينًا ورفيقاً له يعينه ويسير معه حيثما سار.

وعلّم الله عيسى الإنجيل والتوراة ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ١١٠].

وكان عيسى عليه السلام يخلق الطير من الطين.

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

كان عيسى عليه السلام يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله . . وقيل : إنه لم يخلق غير الخفاش، لأن الخفاش أكمل الطير خلقاً لأن له أسناناً وثدياً ويلد وينبيض ويطير .

وكان عيسى عليه السلام يبرىء الأكمه والأبرص ﴿ وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠] فمر بعيسى عليه السلام قَوْمٌ عميان فقال : ما بال هؤلاء؟ فقيل له : هؤلاء قوم طلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم . .

فقال لهم عيسى؟ ما دعاكم لهذا؟

قالوا : خفنا عاقبة القضاء . .

فقال لهم عيسى : أنتم العلماء والحكماء والأحبار . . امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا باسم الله . .

ففعلوا ذلك فإذا هم جميعاً ينظرون . .

وكان عليه السلام يحيى الموتى بإذن الله ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠] كان يذهب عليه السلام إلى قبر الرجل الميت فيقول : الله رب السموات والسبع والأرضين السبع أرسلتنى إلى بنى إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرتهم أنى أحيى الموتى بإذنك فأحيه . . فيقوم الميت من قبره . .

ومن معجزاته عليه السلام نزول المائدة من السماء . ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢ : ١١٥].

امتلأت قلوب زعماء اليهود بالحقد على عيسى بن مريم عليه السلام والغيرة

القاتلة منه . . وأخذوا يدبرون له المكايد والحيل للتخلص منه . . وانتهى بهم الأمر إلى أن يذهبوا إلى (قيصر) الحاكم الرومانى ويخبروه بأن عيسى يريد أن يقتله ليكون هو الملك على اليهود . .

فقرر قيصر على الفور قتل عيسى والتخلص منه . .

فلما علم عيسى بمكرهم ذهب بعيداً عن أعين الناس ثم جمع أصحابه الحواريين وأخذ يوصيهم وينصحهم على أن يتمسكوا بدين الله تعالى ولا يعبدوا سواه ثم بشّرهم عليه السلام بأنه سوف يأتى رسولٌ من بعده اسمه (أحمد)، والمقصود به سيدنا محمد ﷺ .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] .

وعلم أحد أتباع قيصر بمكان عيسى عليه السلام، وكان ذلك الرجل الخائن اسمه (يهوذا) . فذهب مسرعاً إلى الحاكم وأخبره بمكانه الذى يختلى فيه .

وتجلت معجزة الحق سبحانه وتعالى فألقى شَبَهَ عيسى عليه السلام على وجه (يهوذا) فأخذه الجنود ظناً منهم أنه (عيسى) . . والرجل يصرخ ويصيح لكن من يصدقه فى هذه اللحظة .

أخذوه فصلبوه ومثلوا بجثته . . وكانت هذه نتيجة الخيانة . ورد الله كيد الكائدين .

ورفع الحق سبحانه وتعالى عيسى بن مريم إلى السماء حياً .

قال تعالى ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧, ١٥٨] .

هو سيد ولد آدم وفخرهم فى الدنيا والآخرة . . والماحى الذى يمحى به الكفر . . والعاقب ما بعده نبى . . والحاشر الذى يحشر الناس على قدميه . .

وهو نبى الرحمة . . ونبى التوبة . . وخاتم النبيين والمرسلين . . سماه الله فى القرآن : رسولاً ، ونبياً ، أمينًا ، وشاهداً ، مبشراً ، ونذيراً ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . ورؤوفًا ورحيماً ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . . وينتهى نسبه ﷺ إلى إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ .

كان عبد المطلب جد رسول الله ﷺ قد جاءه هاتف بأن يحفر بئر زمزم . . تلك البئر التى قد تفجرت تحت أقدام إسماعيل عليه السلام .

خرج عبد المطلب على قومه وأخبرهم بما هو قادم على فعله . . فرفض الناس ، ومنعوا عبد المطلب من حفر البئر ، ذلك لأن مكان البئر كان عليه صنمان من أصنام الجاهلية وهما «أساف» و «نائلة» .

نذر عبد المطلب حين لقى من قريش ما لقى من المنع والعناد لئن ولد له عشرة أولاد ثم كبروا معه حتى ينصروه ويحموه ، ليذبحن أحدهم عند الكعبة قرباناً لله .

فلما رزق عبد المطلب بعشرة أولاد ، وعرف أنهم سيحمونه وينصرونه وكانت أسماؤهم : الحارث ، الزيد ، حجل ، ضرار ، المقدم ، أبو لهب ، العباس ، حمزة ، أبو طالب ، وعبد الله . .

قام عبد المطلب بحفر البئر فى المكان الذى أخبره به الهاتف . . وكان

عليه بعد ذلك أن يوفى بنذره إلى الله .

فقام بإجراء قرعة بين أبنائه جميعاً فوقعت القرعة على أصغر أبنائه وهو «عبد الله» .

ولكن الناس جميعهم لم يوافقوا على ذبح «عبد الله» لأنه كان طيب الأخلاق أميناً صادقاً وكان محبوباً من جميع الناس .

فقال عبد المطلب : وما الحل فى هذه المسألة لقد وقعت القرعة عليه؟

فقال القوم : نذهب إلى العرّافين نستفتيهم .

وكانت فتوى العرافين بأن يفدوه بمائة من الإبل .

ثم تزوج عبد الله بفتاة عربية من دار (وهب) اسمها «آمنة» وتوفى عبد الله بعد شهرين من زواجه وكانت آمنة بنت وهب حاملاً .

وفى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول وضعت «آمنة» مولودها «محمد ﷺ» وكان العام الذى ولد فيه رسول الله اسمه عام «الفيل» .

كان هناك ملك اسمه «أبرهة» وكان ملكاً على بلاد الحبشة فى ذلك الوقت .

قام «أبرهة» ببناء كنيسة فى «صنعاء» ببلاد اليمن ولم يكن لهذه الكنيسة مثيل فى زمانها . وأرسل أبرهة إلى «النجاشى» إنى قد بنيت لك كنيسة لم يكن لملك من الملوك مثلها من قبلك ، ولن يرتاح بالى حتى أحث كل العرب للذهاب إلى هذه الكنيسة دون الذهاب إلى الكعبة التى يذهب إليها الناس كل عام من كل مكان وناحية .

ولكن خاب أمل أبرهة ولم يذهب أحد من العرب إلى تلك الكنيسة فاشتد غيظه ووجد أن تعبه ذهب سدى .

وقرر أبرهة أن يذهب بجيشه إلى الكعبة المشرفة ويهدمها وادعى كذباً

أن أحد العرب قد دخل الكنيسة وانتهك حرمتها . . . سار أبرهة بجيش عظيم جرار وكان يستخدم الأفيال فى حروبه نظراً لقوتها وضخامة أجسامها .

ووصل أبرهة بجيشه إلى مكة وفى مقدمة الجيش فيل ضخم الجسم قوى البنية . . ولكن العرب كانوا يعلمون أن الكعبة لها رب يحميها . . فتركوا مكة خالية وذهبوا إلى الجبال .

وقف عبد المطلب عند باب الكعبة يدعو الله ويسأله النصر على جيش أبرهة .

ألقى الله تعالى الرعب فى قلب ذلك الفيل الضخم . . فبرك على الأرض ولم يتوجه ناحية الكعبة . . وكان يدير وجهه ناحية اليمن يريد أن يعود مسرعاً . .

وأرسل الله تعالى طيراً مسوَّمة من عنده تلقى حجارة على أبرهة وجيشه حتى أهلكتهم جميعاً . .

قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤﴾ [الفيل] .

توفى عبد الله بن عبد المطلب قبل مولد رسول الله ﷺ فتولى أمره جده عبد المطلب ، وكان من عادة العرب فى ذلك الوقت أن يجعلوا المولود مع إحدى المرضعات اللائى يأتين من البادية لذلك الغرض لإرضاع الصغار مقابل أجر .

حضرت المرضعات فى ذلك الوقت يلتمسن الرضعاء فكان ﷺ من نصيب امرأة من قبيلة «بنى سعد» اسمها «حليمة السعدية» .

أخذته حليمة بالرغم من أنه يتيم الأب وليس من عائلة غنية . وكانت المرضعات يتهافتن ويتسارعن إلى أبناء الأغنياء الأثرياء ليكون الأجر عالياً . .

عادت حليمة بمحمد ﷺ وهى لا تدرى أنها تحمل سيد ولد آدم . . نبى هذه الأمة وخاتم المرسلين . .

وما أن عادت حليمة إلى أهلها بذلك الرضيع اليتيم حتى حلت البركة عليهم جميعاً . . وانفتحت لهم أبواب الخيرات .

واخضرت الأرض اليابسة . . وأثمر النخيل العقيم وكثرت حيواناتهم ومواشيهم وأغنامهم وازداد لبنها وكثر شحمها .

عاش رسول الله ﷺ مع «بنى سعد» حتى بلغ أربع سنين ثم عاد إلى أمه آمنة بنت وهب .

ولما بلغ محمد ﷺ ست سنوات توفيت أمه آمنة فعاش فى كنف جده عبد المطلب الذى أحسن رعايته وكان يجلسه فى مجلسه ويداعبه ويلاطفه .

توفى عبد المطلب بعد أن بلغ محمد ﷺ ثمانى سنوات فأخذه عمه أبو طالب بالرغم من أنه كان كثير الأولاد كثير الأعباء ولكنه أصر على أن يتكفل بتربية محمد ﷺ .

وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه لولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه . وإذا خرج أخذه معه، وكان يخصه بالطعام ويقول له : إنك لمبارك .

نشأ رسول الله ﷺ نشأة طيبة طاهرة نقية .

فقد كان ﷺ كثير الصمت لا يتكلم إلا لضرورة وإذا تكلم لا يقول إلا حقاً . . كان لا يلهو كما يلهو الشباب فى مثل سنه . وقد رعاه الله تعالى فجنَّبه أقذار الجاهلية . لقد كان ﷺ صادقاً أميناً طيب الأخلاق رحيماً بالناس .

وكان يأكل من عمل يده، فعمل فى رعى الأغنام واشتغل فى التجارة حتى أنه سافر مع عمه أبى طالب فى رحلة تجارية إلى الشام وهو ابن ثلاثة عشر عاماً.

كان ﷺ ينظر فى أحوال الناس من حوله.. وكان يتعجب من عبادة الناس للأصنام والحجارة.

عُرِفَ رسول الله ﷺ بين قومه «بالصادق الأمين» كان ﷺ وهو شاب يذهبَ إلى أعلى الجبل ويدخل فى «غار حراء» يتفكر فى ملكوت السموات والأرض بعيداً عن أعين الناس.. كان يترك الناس يلهون ويلعبون ويشربون الخمر ويعبدون الأصنام ويتفكر فى خلق السماء والأرض وعظَمِ ذلك الكون المحكم الذى لا يختل ولا ينهار.

ولما بلغ ﷺ الخامسة والعشرين من عمره تزوج بامرأة كريمة فاضلة ذات شرف ونسب وهى «خديجة بنت خويلد» عُرفت بين الناس بكرم أخلاقها ورجاحة عقلها وكثرة مالها.. وكانت فى الأربعين من عمرها وذلك لما سمعت بصدقه وأمانته وحسن أخلاقه.. وبراعته فى التجارة..

وكانت «خديجة» بمثابة الزوجة والأم والأخت لرسول الله ﷺ وكانت أول من تزوج رسول الله ﷺ من النساء وهى التى أنجبت له دون غيرها..

وكان لمحمد ﷺ الشرف فى حمل الحجر الأسود ووضعه فى مكان فى الكعبة.. وذلك عندما قامت قريش بهدم الكعبة وبنائها وإعادة تسقيفها.. فلما هدموها وانتهوا من رفع بنائها توقفوا عن موضع الركن واختصموا فيمن يرفع الحجر الأسود ويضعه فى مكانه..

وكانت كل قبيلة تريد أن تنال ذلك الشرف العظيم، وكادت المسألة تصل بينهم إلى قيام حرب أهلية بين القبائل.. فاتفقوا على أن يحتكموا

إلى أول رجل يمر عليهم فكان أول من دخل عليهم هو رسول الله ﷺ فقالوا : هذا الصادق الأمين، رضينا بما يحكم به فقال لهم ﷺ : أحضروا ثوباً . . فأحضروا له ثوباً فأمسك بالحجر ووضعه بالثوب .

وقال لهم : كل قبيلة تمسك بناحية من الثوب ولترفعوه جميعاً . .

فرفعوه جميعاً حتى وصلوا إلى مكانه فى البيت ووضعه رسول الله ﷺ بيديه الكريمتين فى مكانه ثم بنوا عليه .

كان الحق سبحانه وتعالى يُعدُّ محمداً ﷺ للرسالة الكبرى منذ صغره . . فعندما كان طفلاً صغيراً عند حليمة السعدية أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فشق صدره عليه السلام وغسل قلبه بالرحمة وألقى فيه النور . . ولم يجعل للشيطان مكاناً فى قلبه وعلمت الملائكة أن ذلك الطفل سيكون له مكانة عالية ومبلغ لم يبلغه أحد من العالمين .

وكان ﷺ لا يرى رؤيا فى منامه إلا جاءت مثل فلق الصبح .

وقد كانت زوجته خديجة بنت خويلد قد قصت لابن عمها وكان اسمه «ورقة بن نوفل» وكان نصرانياً قد درس التوراة والإنجيل، أحوال رسول الله ﷺ فقال لها ورقة :

لئن كان ما تقولين حقاً يا خديجة فاعلمى أن محمداً لنبى هذه الأمة، فلقد علمت أن لهذه الأمة نبياً ينتظر وهذا زمانه .

وكان محمد ﷺ يذهب إلى غار حراء ويخلو بنفسه فيبقى فى الغار ليالى وأياماً يتفكر فى قدرة الله وإبداعه فى كونه .

وفى ليلة من ليالى رمضان . كان ﷺ يتعبد فى غار حراء فإذا به يجد جبريل عليه السلام ماثلاً أمامه .

قال جبريل للرسول ﷺ : اقرأ . .

فقال ﷺ : ما أنا بقارىء!!

فضمه جبريل إليه ضمة شديدة ثم قال له: اقرأ..

فقال ﷺ : ما أنا بقارىء!!

فضمه جبريل مرة أخرى ضمة شديدة وتركه وقال له:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق١ : ٥].

عاد رسول الله ﷺ إلى بيته وكان لا يمر على شجر ولا حجر إلاّ سلم عليه ويقول له: السلام عليك يا رسول الله.. فرجع إلى أهله مسروراً ودخل على زوجته خديجة ـ رضى الله عنها ـ وأخبرها بما حدث له فى الغار. فقالت له:

أبشر، فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، وأبشر فإنك رسول الله حقاً.

وبدأت مرحلة النبوة.. وأول ما نزل من القرآن الكريم على رسول الله ﷺ:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾

[القدر: ١ : ٥].

بدأ ﷺ بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام وترك العادات السيئة من عادات الجاهلية.

ولكن المسألة لم تكن بهذه السهولة.. فقد لاقى ﷺ من ألوان المشقة والعذاب ما لاقى ووقف المجتمع الجاهلى ضده.

وآمن برسول الله ﷺ فى أول الأمر نفر قليل وكان أول من آمن به ﷺ

زوجته خديجة ـ رضى الله عنها ـ .

وآمن به ابن عمه على بن أبى طالب وكان صغير السن، وآمن به زيد ابن حارثة، ومن الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

بدأ رسول الله ﷺ بالدعوة سراً فقد أخفى أمر النبوة لمدة ثلاث سنين . . وبعد ذلك أوحى الله تعالى إليه أن يجهر بدعوته ويعلنها ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[الحجر: ٨٩] ، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] .

خرج رسول الله ﷺ إلى جبل الصفا وصعد عليه ونادى بصوت عالٍ وقال: يا صباحاه . .

فسمع الناس النداء واحتشدوا يتساءلون ما الخبر؟

فقال ﷺ : **يا بنى عبد المطلب، يابنى فهر، يابنى كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى؟**

قالوا: نعم . .

قال: **فإنى نذير بين يدى عذاب شديد .**

فقال «أبو لهب» لعنه الله: تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟! فأنزل الله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] .

واستمر رسول الله ﷺ فى دعوته إلى الله لا يخشى فى الله لومة لائم، فلما وجد القوم ذلك الإصرار منه . . أرادوا أن يساوموه فذهبوا إليه وقالوا له يامحمد: إن أردت أن تكون ملكاً، ملكناك علينا . وإن أردت مالاً جعلناك أغنى رجل فينا .

فردهم رسول الله ﷺ وقال لهم: ليس لى حاجة فى مالكم ولا ملككم إنما أنا رسول الله إليكم أدعوكم إلى عبادة الله الواحد الأحد

وأنهاكم عن عبادة تلك الأصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها أذى.

ذهب أشرافُ قريش إلى أبى طالب عم رسول الله ﷺ وقالوا له: يا أبا طالب. إن ابن أخيك قد سَبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا؛ فإما أن تكفه عنا أو تخلى بيننا وبينه فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقا وردهم رداً جميلاً؛ فانصرفوا.

بعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا: كذا وكذا.. فأبقِ على نفسى ونفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق.

فقال ﷺ: «يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»

فقال له أبو طالب: اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله ما أسلمك لشىء أبداً.

فقامت قريش بتعذيب الذين آمنوا بمحمد ﷺ واستخدموا معهم كل أصناف العذاب تارة بالحبس وتارة بالضرب وتارة بالجوع والعطش. وكانوا يلقون بهم عرايا على رمال مكة الملتهبة بالحرارة من شدة الشمس.

وكان أكثر من نال ألوان العذاب هو «بلال» الحبشى وكان عبداً لرجل من أشراف قريش اسمه «أمية بن خلف» فكان يجلده ويكويه بالنار ويلقيه على ظهره عاريًا مكبلاً بالسلاسل والأغلال.. ثم يضع على ظهره صخرة كبيرة ثم يقول له: لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد.

فيقول بلال رضي الله عنه: أحد... أحد..

ولم يرحمه من هذا العذاب إلا «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه. فاشتراه من

«أمية بن خلف» وأعتقه لوجه الله.

وقد نال «عمار بن ياسر» وأبوه وأمه أشد ألوان العذاب.. وكان يمر بهم رسول الله ﷺ وهم فى أشد حالات البلاء والتعذيب ويقول لهم: «**صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة**».

واستشهدت أم عمار أثناء التعذيب ولم تنطق بكلمة الكفر.

ماتت خديجة ـ رضى الله عنها ـ ومات عمه أبو طالب فى عام واحد وسُمِّىَ ذلك العام «بعام الحزن».

وتجرأت قريش على محمد ﷺ وحاصروه ومن معه فى شعاب مكة ومنعت الناس من أن يبيعوا لهم أو يشتروا منهم حتى يموتوا من الجوع..

وفى أحد الأيام بينما كان رسول الله ﷺ يصلى قام كفار قريش بذبح أحد الجمال وأخرجوا ما فى بطنه من أحشاء وقاذورات وألقوها على رأسه الشريف وهو ساجد لربه.

أسرعت فاطمة ابنته، رضى الله عنها، تدافع عن أبيها وترفع عنه الأذى.

عزم رسول الله ﷺ أن يذهب إلى «الطائف» قاصداً قبيلة ثقيف يلتمس منهم النصرة والمنعة من قومه.

ولكنهم خذلوه وكذبوه. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس منهم وقال لهم:

«**لقد فعلتم ما فعلتم فاكتموا ما حدث بينى وبينكم**».

ولكنهم لم يفعلوا ذلك وأغروا به عبيدهم وصبيانهم، وسفهاءهم يصيحون به ويلقون عليه الحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين فجلس رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة من عنب وقال: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتى**

وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، أنت ربى ، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك».

أراد الحق سبحانه وتعالى أن يروح عن نفس رسوله الكريم ويذهب عنه الكرب والهم، فأكرمه بمعجزة الإسراء والمعراج.

بينما كان رسول الله ﷺ نائماً فى بيت «أم هانىء» إذ جاءه جبريل عليه السلام وسار به خارج البيت وكان البراق ينتظره فى الخارج وكان مخلوقاً عجيباً يشبه الطائر وله أجنحة وانحنى البراق إلى رسول الله عليه السلام فركب عليه هو وجبريل وانطلق بهما بسرعة البرق حتى وصلا إلى بيت المقدس ودخل النبى وجبريل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ المسجد الأقصى فوجد النبى ﷺ كل الأنبياء ينتظرونه بالداخل وصلى بهم ﷺ إماماً..

وبعد ذلك ركب ﷺ هو وجبريل البراق الذى صعد بهما إلى السماوات العلا.. وكان يمر من سماء بعد سماء وكان يرى فى كل سماء من الأعاجيب والغرائب وشاهد صنوف العذاب التى أعدها الله للكافرين يوم القيامة.

وأخيراً وصل ﷺ إلى سدرة المنتهى حتى وقف بين يدى الحق سبحانه وتعالى.

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [النجم: ٨، ٩]

وفرض الله سبحانه وتعالى على أمة محمد الصلوات الخمس فى تلك الليلة المباركة وأخبر الحق تعالى نبيه بأنها خمس صلوات فى العمل وخمسون فى الأجر والثواب.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٣: ١٧].

اجتمع كفار قريش وقرروا التخلص من رسول الله ﷺ وأرادوا قتله واتفقوا على أن يذهب من كل قبيلة رجل قوى ويضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد حتى يتفرق دمه بين القبائل.

أخبر الله نبيه بمكرهم وأمره بالهجرة إلى المدينة وخرج مع صاحبه أبى بكر الصديق رضي الله عنه سراً دون أن يراهما أحد من قريش ولما علمت قريش بخروجهما أسرعوا لمطاردتهما فى الصحراء.

ودخل الرسول الكريم مع صاحبه فى غار يقال له غار «ثور» ولما وصل الكفار إلى ذلك الغار كان الحق سبحانه وتعالى قد أرسل عنكبوتاً فنسج نسيجه على مدخل الغار وجاءت حمامة فوضعت بيضها على مدخله وكلم أبو بكر الصديق رسول الله وقال له: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا. فقال له رسول الله: «يا أبا بكر ما بالك فى اثنين الله ثالثهما»!!

﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ذهب رسول الله ﷺ إلى يثرب «المدينة المنورة» واستقبل أنصار المدينة رسول الله ﷺ أحسن استقبال فعزّروه ونصروه والتفوا حوله.

وقام رسول الله ببناء دولة إسلامية قوية.

وحمل ﷺ سيفه وقاتل الكافرين والمشركين وكانت بينه وبين المشركين أكثر من معركة.

فكانت موقعة بدر الكبرى التى كان عدد المشركين فيها أضعاف

ضعاف عدد المؤمنين ولكن الله تعالى أيد المؤمنين بجنود لم يروها وأرسل إليهم جنوداً من الملائكة كانت تحارب معهم ضد المشركين فى ميدان المعركة.

ولقى المشركون هزيمة ساحقة لم يتوقعوها ولم تكن فى حسبانهم..

ثم بعد ذلك موقعة أحد وغزوة الخندق.. حتى انتهى المطاف بدخول رسول الله ﷺ على رأس جيش عظيم إلى مكة المكرمة.. وسُمِّىَ ذلك اليوم «بيوم الفتح».

وقام ﷺ بتحطيم الأصنام وكان يقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» ثم أمر بلالاً فطلع على ظهر الكعبة وأذَّن للصلاة. وخاطب رسول الله ﷺ أهل مكة وقال لهم:

«ما تظنون أنى فاعل بكم؟»

قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

قال ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١: ٣].

الفهرس

الموضوع	الصفحة
★ آدم عليه السلام	٣
★ نوح عليه السلام	٩
★ هود عليه السلام	١٤
★ صالح عليه السلام	١٨
★ إبراهيم عليه السلام	٢٢
★ إسحاق عليه السلام	٢٣
★ لوط عليه السلام	٢٤
★ إسماعيل عليه السلام	٢٨
★ شعيب عليه السلام	٤١
★ يوسف عليه السلام	٤٤
★ موسى عليه السلام	٥١
★ دواد عليه السلام	٦٧
★ سليمان عليه السلام	٧٥
★ أيوب عليه السلام	٨٦
★ يونس عليه السلام	٧٥
★ زكريا ويحيى عليهما السلام	٨٨
★ عيسى عليه السلام	٩٢
★ محمد صلى الله عليه وسلم	١٠٧